

الوسطية  
في التصور الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الرابعة

٢٠١٦-١٤٣٧

إبراهيم النعمة

# الوسطية في التصور الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله حمداً يُبَلِّغني رضاه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله  
محمد خير من اصطفاه، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الصادقين،  
وعلى مَنْ دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين!  
أما بعد:

فلقد صرنا نسمع لفظ (الوسطية) كلَّ يوم من الإذاعات والتلفزات،  
ونقرؤه في الصحف والمجلات، وصارت المؤتمرات تعقد هنا وهناك في  
البلاد العربية والإسلامية وغيرها للدعوة إليها، وقد أفرَدَ للوسطية بعضُ  
من الكُتَّاب كتباً مستقلة، ذُكِرَتْ فيها ملامح الوسطية وأسسها، ومنهجُ  
القرآن في تقريرها، ووسطيةُ القرآن في العبادة والتشريع والأخلاق... لقد  
اهتمَّ الناس بالدعوة إلى (الوسطية)، بعد حوادث القتل والتفجيرات التي  
وقعت في عدد من البلاد العربية والإسلامية وغيرها، ووجهت الاتهامات  
الكثيرة إلى الإسلام، من قِبَل كُتَّاب غربيين ومستغربين، زعموا فيها أن  
الإسلام كان - ولا يزال كذلك - السبب في كل ما جرى ويجري في العالم  
من حوادث تفجيراتٍ وإرهاب، وكان لوسائل الإعلام الغربية والعربية  
الدور الكبير في الصاق الإرهاب بالإسلام وبالمجتمعات الإسلامية، وكأن  
هذا التطرف منحصر بالجانب الإسلامي وحده، فقد غضت تلك الوسائل  
الإعلامية الحديث عن أنواع كثيرة من التطرف: كالتطرف الثقافي والتطرف  
السياسي والتطرف القومي والتطرف اليساري والتطرف العلماني، وقد

عملت هذه الأنواع من التطرف-ومازالت تعمل كذلك- على إلغاء الآخر، والإستخفاف بالدين، ومارست سياسة التعذيب والقتل فيهم، في الوقت الذي غضت الطرف عن التطرف في البلاد الغربية، والتطرف الإسرائيلي الذي يعمل عمله في إسرائيل، حتى قام باغتيال رئيس الوزراء الأسبق لإسرائيل إسحق رابين...

لقد اكتسب التطرف الديني والغلو في البلاد العربية والإسلامية الشهرة في العالم، وبرز أكثر من غيره لوسائل الإعلام أولاً وبوسائل كثير من الحكومات التي ساهمت بإيجاده ثانياً بسبب ما كانت تتخذه من اعتقالات وسجون وقتل في الشباب، ولا ننسى تقصير كثير من العلماء الذين كانوا يصمتون عن تجاوزات حكامهم، ولم يكتفوا بالسكوت، بل كانوا يكثرون من التسييح بحمدهم، والتمجيد بمواقفهم غير الصحيحة، وتبرير كثير من أعمالهم السيئة، وكذلك ما ألحقه العالم الغربي والشرقي بالبلاد العربية والإسلامية من ظلم وافتئات لا يحتاج إلى دليل ناسين أو متناسين ما ألحقوه هم بالبلاد العربية والإسلامية من ظلم لا يحتاج إلى دليل. وكيف يحتاج ظلم العالم الغربي إلى دليل، ونحن نرى بأعيننا، ونسمع بأذاننا ما يُنزله الحقد اليهودي بإخواننا الفلسطينيين: فهم الذين مكّنوا اليهود من اغتصابها وإنزال المجازر بأهلها. وما رأيناه بأُمّ أعيننا من ظلم أمريكا ودول الاحتلال يوم احتلوا العراق، وفعلوا ما فعلوا من إلغاء الجيش الذي أدى إلى الفوضى في البلاد، وما فعّلوه من تدمير المصانع، وقتل

عشرات الآلاف من الشيوخ والأطفال والشباب والنساء، بحجة أن العراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل !

وتمضي على احتلال العراق سنوات وهم يفتشون في كل دائرة من دوائر الدولة ومؤسسة من مؤسساتها، بل وفي عدد من مساجدها وهي بيوت الله أعدت لعبادة الله وحده ! بل صاروا يفتشون حتى في البيوت الخاصة، فلم يروا أثراً لتلك الأسلحة المزعومة، مع كثرة العملاء لهم، والسائرين في ركبهم، الذين جنّدوا أنفسهم بل باعوها للمحتل الكافر، وقاموا - قبل الاحتلال - سنوات عديدة يفتشون هنا وهناك، فلم يروا شيئاً مما طبّلت وزمرت به وسائل الإعلام في العالم الغربي.

ولابد لنا أن نعلم أنّ أسلحة الدمار الشامل موجودة، ولكن لدى اليهود في إسرائيل مدللة الإنكليز بالأمس، ومدللة أمريكا والعالم الغربي اليوم.

وحَدَّثَ ما شئتَ أن تُحدِّثَ عما فعلته وتفعله أمريكا في أفغانستان، وما فعلته في العراق، فوق ما فعلته روسيا في الشيشان !...

وأحب أن أذكر أنّ هذا البحث لا علاقة له بالأسباب الحقيقية لعوامل العنف التي تقع في العالم اليوم، بل يتحدث في (الوسطية في التصور الإسلامي)؛ ذلك لأنّ سهماً كثيرة في العالم الغربي ومن المستغربين الذين رباهم العالم الغربي على منهجه، رُيِّسَتْ ورُمِيَ بها الإسلام افتراءً وظلماً !  
ولابدّ لي أن أقرّر أداءاً للأمانة بأنّي انتفعتُ في بحثي هذا من كتاب

(الوسطية في القرآن الكريم) للأستاذ الدكتور علي محمد محمد الصلابي وهو  
كتاب قيّم في موضوعه، بارك الله فيه وفي مؤلفه، وجزاه عن الإسلام  
والمسلمين خير الجزاء!.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا وغيره من الأعمال خالصاً لوجهه  
الكريم وينفع به، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!.

إبراهيم النعمة

١٣ / من ذي القعدة / ١٤٣٢ هـ

١١ / تشرين الأول / ٢٠١١ م

## الوسطية في التصور الإسلامي

### الوسطية في اللغة

الوسطية في لغة العرب من (الوسط). وقد جاء بمعنى: الخيار والعدل. يقال: فلان وسط الحسب في قومه: إذا كان خياراً عادلاً، قال زهير بن أبي سلمى:

هُمْ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامَ بِحُكْمِهِمْ      إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمٍ<sup>(١)</sup>  
ويبدو أن الناس قبلوا حكم هؤلاء المدوحين؛ لأنهم قوم عادلون خيار. وفي هذا المعنى ورد قول الله تعالى:

﴿ قَالَ أَوْسَطُكُمْ أَمْرٌ أَقْلٌ لَكُمْ لَوْلَا تُسَيِّحُونَ ﴾ (٢٨) سورة القلم .

أي أعدلهم وأقصدهم إلى الحق.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله -:

(ان الوسط: هو العدل والخيار. وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم. فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما)<sup>(٢)</sup>.

(١) اساس البلاغة للزمخشري ٢/٣٣٣، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى ١٤١٩-١٩٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) تفسير المنار ٤/٢. للشيخ محمد رشيد رضا. مكتبة القاهرة / مصر.

والوسطية ضد الغلو - وهو مجاوزة الحد - يقال: غلا السعر يغلو  
غلاءً إذا ارتفع، وغلا الرجل غلواً: إذا جاوز حده. فالمراد به اذن: مجاوزة  
الحد، بأن يُزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق.

وفسر ابن كثير قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ  
غَيْرَ الْحَقِّ﴾ فقال: (أي لا تجاوزوا الحدَّ في اتباع الحق، ولا تُطروا مَنْ  
أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما  
صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله...) (١).  
وهكذا يكون الوسط: ما يقع بين الغالي والجافي. وبتعبير آخر: هو  
الوسط بين الإفراط والتفريط.

ولقد أبدع الشعراء في مدح الوسطية فقال أحدهم

إقتصد في كل حال      وأجتنب غماً وذمماً

لا تكن حلوا فتؤكل      لا ولا مرافترمى

وأوصى شاعر آخر بالأخذ بأوساط الأمور فقال:

عليك بأوساط الأمور فإنها      نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال أبو الأسود الدؤلي في معنى الوسطية:

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا      فإنك لا تدري متى انت نازع

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٤ بتحقيق عبد الرزاق المهدي. الطبعة الثانية ١٤٢٣-٢٠٠٢ دار  
الكتاب العربي.

وأبغض إذا أبغضت غير مباينٍ فإنك لا تدري متى أنت راجع<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الرومي في رثاء ابن له:

توخي حِمامَ الموت أوسط صبيتي فلله كيف اختار واسطة العقد

الوسطية أو الاعتدال في القرآن والسنة:

دعا القرآن الحكيم والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه المسلم إلى الوسطية والاعتدال في أموره الدينية والدنيوية: فلا إفراط ولا تفريط. فمن آيات الله قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ سورة الإسراء

وقوله مادحاً عباده المؤمنين:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ

قَوَامًا ﴿٧٧﴾ سورة الفرقان

وقوله:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٧﴾ سورة

القصص/ ٧٧.

وحين ننظر في الآيات المكية والمدنية، نرى أنها تدعو إلى الاعتدال في

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٥٠، الطبعة الخامسة ٢٠٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأكل والشرب وتنهى عن الإسراف، وتنكر على مَنْ يحرّم على نفسه الطيبات والزينة، فالله تعالى يقول:

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ سورة الأعراف.

ويقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ سورة المائدة.

هذا هو منهج القرآن في التمتع بالطيبات ومقاومة الغلو.

وأما أحاديث النبي ﷺ التي تدعو إلى الوسطية وعدم الغلو فكثيرة، منها قوله صلوات الله وسلامه عليه:

«إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك مَنْ كان قبلكم: الغلو في

الدين»<sup>(١)</sup>.

والمراد بمن قبلنا في هذا الحديث: أهل الأديان السابقة، وبخاصة أهل الكتاب، وعلى الأخص: النصارى. ونهَى النبي عن الغلو في الدين عام في

(١) رواه ابن ماجه في كتاب المناسك (باب: قدر حصى الرمي) ١٠٠٨/٢ رقم ٣٠٢٩.

أنواع الغلو كلها في الاعتقادات والأعمال ...

وقوله:

«هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»<sup>(١)</sup>.

والمتنطعون في الحديث: هم المتعمقون، المجاوزون الحدود في أقوالهم

وأعمالهم.

وقوله:

«ان الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا،

وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) رواه مسلم في كتاب العلم (باب: هلك المتنطعون) ٤/ ٢٠٥٥ رقم ٢٦٧٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: الدين يسر). وانظر البخاري مع الفتح حديث

٣٩. ومعنى الحديث أن الإسلام يسره معروف بالنسبة للأديان قبله؛ ذلك أن الأديان

السابقة كانت توبتهم بقتل أنفسهم. أما في الإسلام فشرطها معروفة. ويدعو الحديث

إلى الأخذ باليسر من الأعمال؛ لأن الذي يتعمق في العبادات ويترك الرفق يصيبه العجز

فينقطع ويُغلب: (ان الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه). ويأتي الأمر من النبي

الكريم بلزوم طريق الوسط من غير إفراط ولا تفريط فيقول: (فسددوا) أي: الزموا

السداد وهو الصواب من غير تفريط ولا إفراط وان لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا

بما يقرب منه: (وقاربوا) أي: إذا لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل، فاعملوا بما يقرب منه

(وأبشروا) بثواب الله الواسع على العمل الدائم وإن قل من غير انقطاع في الأوقات

المنشطة: في أول النهار، وبعد الزوال، وفي آخر الليل: (واستعينوا بالغدوة والروحة

وشيء من الدلجة). والغدوة: السير في أول النهار، والروحة: السير بعد الزوال،

والدلجة: سير آخر الليل، وقيل: سير الليل كله.

ومما روي عن النبي ﷺ:

«يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدولهُ، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين»<sup>(١)</sup>.

الأمّة الوسط:

وصف الله الأمّة الإسلامية بأنها الأمّة الوسط، فقال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ  
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة / ١٤٣.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:

(والوسط ههنا: الخيار والأجود. كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها)<sup>(٢)</sup>.

وجاء هذا الوصف للأمّة المسلمة -أيضاً- لتوسط أمتنا في الدين. فلم يكن فيها غلو كغلو النصارى بسيدنا عيسى عليه السلام، حتى جعلوه ابناً للإله، ولم يقصروا كتقصير اليهود الذين حرفوا توراتهم وبدّلوا فيها، وقتلوا مَنْ قتلوا من أنبيائهم. أما الأمّة الإسلامية فهي الأمّة الوسط. هي أمة الخير والعدل، هي الأمّة القائمة على الصراط المستقيم، هي الأمّة التي تحمدها الأمم، وتعترف لها بالفضل، هي الأمّة التي تحمل أكمل الشرائع، هي الأمّة

(١) الحديث مرسل. انظر: تعليق الشيخ الألباني على أحاديث المشكاة رقم ٢٤٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٩٦.

الحكم بين الأمم: تقيم موازين العدل بين الأمم كلها، وتزن كل أمر بميزان القسط، هي الأمة التي تستطيع أن تؤثر بعقائد الناس وأخلاقهم... ومن هنا تتبين مهمتها في الوجود. ولكن لا بد لأمة الوسط من ميزان يضبطها ويوجهها دائماً التوجيه السوي. ويأتي الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه؛ ليكون هو الموجه لأمته: يوجهها دائماً إلى الطريق السوي.. انها الأمة الوسط. وقد ورد في تفسير الآية ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم؛ فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير؛ فيقول: مَنْ يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته؛ فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً؛ فذلك قوله -جل ذكره-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم؛ فيقال: وما علمكم؟

(١) رواه البخاري مع الفتح في كتاب التفسير، باب ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ رقم ٤٤٨٧.

فيقولون: جاءنا نبينا ﷺ فأخبرنا أن الرسل بلّغوا؛ فذلك قوله ﷺ:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾<sup>(١)</sup>.

وفسر ابن جرير الطبري الوسط بقوله:

(الوسط في هذا الموضع: هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين مثل وسط الدار.. وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين.. إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)<sup>(٢)</sup>.

من سمات الوسطية في القرآن والسنة:

الوسطية التي دعا إليها القرآن الكريم ودعت إليها السنة النبوية لها سمات عديدة منها: التيسير والتخفيف، ورفع الحرج، وعدم التكليف بغير الوسع. وقد علمنا - فيما مضى - أن ديننا هو دين الوسط: فلا إفراط ولا تفريط. وحين نظر في القرآن الحكيم، نرى أنه لم يأمر إلا بما فيه خير الناس وصلاحهم، ولم ينه إلا عما يجلب لهم الشر والفساد. وجاءت شريعتنا الغراء مسيطرة للفترة السليمة التي فطر الله الناس عليها؛ لذلك نجدها قد قامت على التيسير ورفع الحرج، وعدم التكليف بغير الوسع: فلا حرج على المكلفين من أي تشريع كان منها. والله - ﷻ - حينما كلف الناس، كلفهم بما يستطيعون القيام به، نجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي ﷺ.

---

(١) رواه الإمام أحمد وإسناده على شرطها، والنسائي في (الكبرى) حديث ١١٠٠٧ وهو حديث صحيح.

(٢) تفسير الطبري ٦/٢. الطبعة الثانية ١٣٧٣-١٩٥٤. مطبعة الحلبي.

## أدلة التيسير والتخفيف

وردت في القرآن الكريم آيات تبين أن من سمات شريعة الإسلام:  
التيسير والتخفيف، من ذلك قول الله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ سورة البقرة/ ١٨٥.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ سورة النساء.

﴿وَيُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ سورة الأعلى.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ سورة الشرح.

وأما أحاديث النبي ﷺ في التيسير والتخفيف فكثيرة، منها قوله ﷺ:  
«ان الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه؛ فسددوا، وقاربوا،  
وأبشروا...»<sup>(١)</sup>.

وقال:

«ان خير دينكم أيسره، ان خير دينكم أيسره»<sup>(٢)</sup>.

ولما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال  
لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: يسر الدين). وانظر: البخاري مع الفتح حديث ٣٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، وصحح إسناده الحافظ في الفتح، وقال الهيثمي في مجمع  
الزوائد: رجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري في كتاب الآداب (باب: يسروا ولا تعسروا).

ولما سئل النبي ﷺ: أيُّ الأديان أحب إلى الله؟ قال: «الحنيفية السمحة»<sup>(١)</sup>.

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها هذا الحديث فتقول:  
(ما خَيْرَ رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلاَّ أخذَ أيسرهما ما لم يكن إثماً،  
فان كان إثماً كان أبعد الناس منه)<sup>(٢)</sup>.

أما الحديث الذي شاع على ألسنة الناس كثيراً فهو قوله صلوات الله وسلامه عليه:

«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»<sup>(٣)</sup>.

وينقل ابن حجر العسقلاني قول الإمام النووي في شرح الحديث:  
(لو اقتصر على (يسروا) لصدق على مَنْ يَسَّرَ مرةً وعَسَّرَ كثيراً، فقال:  
(ولا تعسروا) لنفي التعسير في جميع الأحوال، وكذا القول في عطفه عليه  
(ولا تنفروا)<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن حجر في شرح الحديث:

- 
- (١) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: الدين يسر).  
(٢) رواه البخاري في صفة النبي ﷺ، وفي الأدب، ومسلم في الفضائل (باب: مباحثته ﷺ للأثم واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله).  
(٣) رواه البخاري في كتاب العلم (باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا)، حديث ٦٩. وانظر: البخاري مع الفتح ١/٢١٥.  
(٤) فتح الباري ١/٢١٥.

(والمراد: تأليف من قُرِبَ إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء. وكذلك الزجر عن المعاصي، ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج؛ لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حُب إلى مَنْ يدخل فيه وتلقاه بانسباط، وكانت عاقبته -غالباً- الازدياد، بخلاف ضده) (١).

### أدلة رفع الحرج:

الحرج: هو الضيق، ورفع: إزالته. فيكون معنى رفع الحرج: إزالة الضيق وما يؤدي إليه من المشاق.

ومن الأدلة الواضحة لرفع الحرج قول الله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ سورة الحج / ٧٨.

وقوله:

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ  
وَلِيُثَبِّتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة المائدة / ٦.

وقوله:

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا  
يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ سورة التوبة / ٩١.

وقوله:

(١) فتح الباري ١/ ٢١٥.

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾

سورة النور / ٦١ .

هذه الآيات الكريمة وغيرها صريحة في رفع الحرج عن الأمة المسلمة، وان تشريعات القرآن -كلها- ليس فيها شيء من الحرج على المسلمين، ونستطيع أن نقول: أن رفع الحرج أصل مهم من أصول التشريع الإسلامي .

أما أحاديث النبي ﷺ في رفع الحرج فكثيرة، منها قوله ﷺ:

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»<sup>(١)</sup>.

ويروي الإمام مسلم أن النبي ﷺ صلى التراويح ليلة، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثرت الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم فلما أصبح قال: (قد رأيتُ الذي صنعتم؛ فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تُفرض عليكم) وفي رواية أخرى: (فتعجزوا عنها)<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ:

«اني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطولَ فيها فأسمعُ بكاءَ الصبي؛ فأتجوزُ؛ كراهية أن أشقَّ على أمه»<sup>(٣)</sup>.

ان الصلاة قرة عين النبي ﷺ لكنه يتجوز فيها رفقا بحال الأمهات

(١) صحيح مسلم مع النووي كتاب الطهارة (باب السواك) ٣ / ١٤٣ .

(٢) صحيح مسلم مع النووي كتاب الصلاة (باب صلاة التراويح) ٦ / ٤١ - ٤٢ .

(٣) رواه أبو داوود في كتاب الصلاة (باب: تخفيف الصلاة) ١ / ٢٠٩ رقم ٧٨٩ .

المسلمات؛ لئلا يشق عليهن.

عدم التكليف بغير الوسع

أدلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، منها قول الله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ سورة البقرة / ٢٨٦.

وقوله تعالى وهو يعلمنا كيف ندعو:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا  
حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ سورة  
البقرة / ٢٨٦.

وقوله:

﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا  
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا ﴾ سورة الطلاق / ٧.

وقوله:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا  
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ سورة  
الأنعام / ١٥٢.

يتضح من هذه الآيات وغيرها أن تكليف العباد كان بحسب الوسع وليس خارجاً عن قدرة الناس: فقد خلت من المشقة التي ليست في طوق الإنسان، ووجدت المشقة التي يمكن أن يتحملها؛ ذلك أن كل عمل من

أعمال الإنسان لا يخلو من مشقة.

مع النبي الكريم في توجيه أصحابه إلى التخفيف ونهيمهم عن التشديد:

كان النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه يلاحظ أصحابه ويتابع أخبارهم، فإذا علم أن واحداً منهم يشدد على غيره أو على نفسه ينهاه عن ذلك ويوجهه إلى طريق الاعتدال. وهذا أسلوب من أساليب تربيته عليه الصلاة والسلام. والحوادث التي وجّه فيها النبي الكريم أصحابه كثيرة، ومنها حادثة معاذ بن جبل التي سارت بذكرها الركبان - كما يقال - فقد كان معاذ رضي الله عنه يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أتى قومه فأتمهم، فافتتح بسورة البقرة؛ فانحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف؛ فقالوا له: أنا فقت يا فلان؟ قال: لا والله، ولا تين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أخبرنه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، (انا أصحاب نواضح - وهي الإبل التي يُستقى عليها - نعمل بالنهار، وان معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة؛ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاذ فقال: «يا معاذ، أفتان أنت؟ اقرأ بكذا» وفي الرواية الأخرى: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالصُّحَى) (١).

وفي هذا المعنى ما رواه الإمام مسلم قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا. قال أبو

(١) صحيح مسلم مع النووي. كتاب الصلاة (باب: تخفيف الأئمة) ٤ / ١٨١ - ١٨٢.

مسعود الأنصاري - راوي الحديث - فما رأيتُ النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشدَّ مما غضب يومئذ فقال: أيها الناس، إنَّ منكم منفرين، فأياكم أمَّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبيرَ والضعيفَ وذا الحاجة».

### الصحابة ورفع الحرج:

ولقد فهم الصحابة ما كان يرمي إليه النبي ﷺ من دعوته إلى التيسير ورفع الحرج، فطبقوا ذلك على أنفسهم. فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًا فَلَيْسْتَنَ بِمَنْ قَد مَاتَ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ) (أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم وسيرتهم، فانهم كانوا على الهدى المستقيم)<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن مسعود -أيضاً- استهداءً بمنهج النبي ﷺ في التيسير:

«إياكم والتنعط، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق»<sup>(٢)</sup>

أما سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان يقول:

(نُهِينَا عَنِ التَّكْلِيفِ)<sup>(٣)</sup>

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/١٦٦ بتحقيق محمد رشاد سالم. الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.  
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٢٧٠ تحقيق شعيب الارناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة ١٤١٢-١٩٩١.  
(٣) إغاثة اللفهان لابن قيم الجوزية ١/١٥٩. دار المعرفة / بيروت.

وكان ﷺ في طريق فسقط عليه شيء من الماء من الميزاب، فقال رجل معه:

(يا صاحب الميزاب، ماؤك طاهر أم نجس؟ فقال عمر ﷺ: يا صاحب الميزاب، لا تجربنا، ومضى)<sup>(١)</sup>.

هذا هو منهج صحابة رسول الله رضوان الله عليهم، أولئك الذين عاشوا مع النبي، وشهدوا نزول الوحي عليه، وسمعوا أقواله، وشاهدوا أفعاله، وقد أثنى عليهم النبي ﷺ الثناء الحسن فقال:

«خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»<sup>(٢)</sup>

التابعون ورفع الحرج:

اقتدى التابعون بهدي النبي ﷺ في التيسير وعدم التعسير قولاً وعملاً، كما اقتدوا من بعده بصحابة رسول الله رضوان الله عليهم. ونجد سمة التيسير واضحة في منهج التابعين، وهذه بعض الأمثلة من أقوالهم:

قال الإمام الشعبي - رحمه الله -:

(إذا اختلف عليك أمران، فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق لقوله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) إغاثة اللفهان لابن قيم الجوزية ١/ ١٥٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: فضل أصحاب النبي ﷺ) حديث ٢٢/٤.

(٣) تفسير القاسمي ٣/ ٤٢٧.

وقال معمر بن راشد وسفيان الثوري:

(إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه)<sup>(١)</sup>.

وقال إبراهيم النخعي:

(إذا تخالجت أمران، فظنَّ أنَّ أحبهما إلى الله أيسرهما)<sup>(٢)</sup>.

هذا هو منهج النبي ﷺ، ومنهج أصحابه، ومنهج التابعين في التيسير، ورفع الحرج: فقد خلت أحكام الإسلام من المشقة الشديدة.

وإذا كان اليسر ورفع الحرج سمة من سمات هذا الدين، فإن هذا لا يعني أن يتساهل الناس ويتهاونوا في عدد من أحكام دينهم، ويعملوا على تميع الإسلام بحجة اليسر ورفع الحرج: فلا إفراط ولا تفريط. وهكذا نفهم الوسطية في التصور الإسلامي التي هي سمة واضحة من سمات شريعتنا الغراء.

هل الوسطية في كل حكم من أحكام الإسلام

يخطئ من يظن أن الوسطية تكون في كل حكم من أحكام الشريعة الإسلامية؛ لأن في الشريعة أحكاما يجب أن يكون فيه المسلم شديداً كل الشدة، وبخاصة في الأحكام قطعية الثبوت والدلالة، كقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٦/٣٧٦. الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨ دار الكتب العلمية/بيروت.

(٢) الوسطية في القرآن الكريم للدكتور: علي محمد محمد الصلابي، الطبعة الأولى ١٤٢٢-

وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْهِ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدًا وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢﴾ سورة النور / ٢

فاللفظ (مائة) دلالة قطعية على هذا العدد، ولا يحتمل معنى آخر، فلا مجال في جعل الجلد خمسين جلدة مثلا، عملا بالوسطية في تنصيف الحد بين عدم تطبيقه وتطبيقه مائة جلدة.

وقد طبق النبي ﷺ أحكام الله تطبيقا عمليا، فلم يتهاون عليه الصلاة والسلام في أي حكم كان من أحكام الله، يدلنا على ذلك: ما روته عائشة رضي الله عنها قالت:

إن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟!»، ثم قام فاخترط ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد النبي ﷺ شديدا كل الشدة إذا انتهكت حرمة الله، ونراه -في الوقت نفسه- لينا مع صحابته إذا لم تنتهك حرمة الله، بل مع كل من

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ص ٨٩٢، حديث ٣٤٧٥، ومسلم في كتاب الحدود (باب: قطع السارق الشريف وغيره)، والنهي عن الشفاعة في الحدود)

١٣١٥ / ٣، حديث ١٦٨٨

يأتيه من الأعراب، وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها هذا الحديث  
فقالت:

(ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن  
كان إثماً كان أبعد الناس منه)<sup>(١)</sup>.

### الصحابة والوسطية

واقترى الصحابة بهدي النبي الكريم في هذا الأمر، فكانوا أرقّ الناس  
فيما بينهم، ومع كل من يسألهم، واشدّ الناس على الكفار الذين يريدون  
الإساءة اليهم أو الاعتداء عليهم. فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عرف برقته،  
وقد وصفته عائشة رضي الله عنها بقولها: (كان أبو بكر رجلاً رقيقاً إذا قرأ  
القرآن استبكى)، وكان رحيماً بالناس ورفيقاً بهم يعطف على المساكين،  
ويحسن إلى الناس كلهم، لكنه في المواقف التي تقتضي الشدة يصير كالأسد  
الهصور لا يقف أمامه شيء، ويدل على هذا كلمته التي وعها سمع الزمان  
لما ارتدت العرب، ولم يبق لدولة الإسلام إلا المدينة وما حولها وأماكن قليلة  
أخرى، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف بشدته هاله الموقف، فطلب  
من أبي بكر أن يترث ولا يعجل بقتال المرتين، لكن أبا بكر قال قوله  
المشهورة:

(والله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم

---

(١) رواه البخاري في صفة النبي ﷺ، وفي الأدب، ومسلم في كتاب الفضائل (باب:  
مباعدته ﷺ للأثم واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله).

(عليه)

إن هذا الموقف الشديد من أبي بكر هو الذي أعاد للإسلام هيئته، واعداد الناس لهذا الدين.

### الرخص في العبادات:

الرخص في العبادات كثيرة منها قصر الصلاة الرباعية للمسافر كالظهر والعصر والعشاء فيصلحها ركعتين ركعتين بدل الأربع، كما رخص للمسافر أن يجمع بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمع تقديم أو جمع تأخير. ومن رخص الصلاة أن يصلي المريض قاعداً، فان لم يستطع فمضطجعاً على جنبه، أو مستلقياً على ظهره أو على قدر استطاعته. ويرخص له عند فقد الماء، أو حاجته له أو لدوابه أن يتيمم، وكذلك يباح له التيمم إذا كان استعمال الماء يؤدي إلى زيادة مرضه.

وفي خصوص الصيام رخص للمسافر والمريض بالإفطار، وقد يصير الإفطار واجباً عليهما إذا كان في الصوم مشقة معتبرة، ويقضيان بعدد الأيام التي أفطرا فيها. وهكذا الأمر بالنسبة إلى المجاهدين في سبيل الله فيباح لهم أن يصلوا صلاة الخوف كيفما استطاعوا ولا يشترط في هذه الصلاة عند اشتداد القتال ركوع ولا سجود ولا استقبال قبلة.

### وماذا عن العقوبات؟

بعث النبي ﷺ والجزيرة العربية تعج بالجرائم من القتل والنهب والسرقة... واستعمل القرآن الكريم والرسول الرحيم صلوات الله

وسلامه عليه أساليب كثيرة من أجل القضاء عليها، تتمثل بالتربية الإيمانية بالله وباليوم الآخر. ومع تلك التربية، فقد وضع الإسلام عقوبات زاجرة لمن تسوّل له نفسه أن يرتكب جريمة من الجرائم. وكانت تلك العقوبات دواءً شافياً لأكثر أمراض المجتمع آنذاك. فبعد تلك الفوضى التي ضربت أطنابها في الجزيرة العربية، وإذ بالأمان يعود إليها، و(يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) كما يقول الرسول ﷺ. وعند التأمل بتلك العقوبات، نرى أن الحكمة منها: انزجار الناس عنها ليس إلا، وليست الغاية إقامتها في المجتمع. فعقوبات الحدود مثلاً وهي عقوبات الزنى، والقذف والسرقه وشرب الخمر. لا تصدر اعتباطاً وكيفما اتفق بل تسير وفق قوانين دقيقة، فلا تقطع يد السارق لمجرد سرقته النصاب، ولكن تدرس أحوال الجنائية وأحوال الجاني: العقلية والنفسية والاقتصادية: فلا تقطع يده إذا سرق وهو جائع، ولا تقطع يده إذا حصلت له أية شبهة كانت من الشبهات في ركن من أركان السرقه أو شرط من شروطها أو طريقة إثباتها عملاً بقول النبي ﷺ:

«إدرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا

سبيله، فإن الإمام ان يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»<sup>(١)</sup>.

واستهداءً بهذا المنهج النبوي لم يقيم سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حدّاً

(١) رواه الترمذي في كتاب الحدود (باب: ما جاء في الستر على المسلم) برقم ١٤٢٤ بترقيم

تحفة الأحوذى، والحاكم في كتاب الحدود برقم ٨١٦٣ / ١٤٠.

السرقه على أحد عام الرماده، وذلك للشبهه القائمه في المجتمع آنذاك.  
وهي المجاعه.

وفوق ذلك، فان السارق لا تقطع يده إذا كان له في الشيء المسروق  
شبهه: كما لو سرق الأب أو الأم من أولادهما وذلك للشبهه القائمه وهي  
حديث النبي ﷺ «أنت ومالك لأبيك»<sup>(١)</sup>، وهكذا الأمر في كثير من  
العقوبات.

وننظر إلى العقوبات السائده في نهاية القرن الثامن عشر في أوربا، فنرى  
(العقوبات بالموت تنزل بالفرد الأوربي لأصغر الجنح فضلاً عن الجرائم:  
فقد كان القانون الإنكليزي - حتى نهاية القرن الثامن عشر - يُنزل عقوبة  
الإعدام بكل من يرتكب - بزعمهم - جريمة واحده من مائتي جريمة  
منصوص عليها في القانون الإنكليزي. ومن هذه الجرائم المزعومه التي  
تودي بحياة الناس: سرقة (شلن) واحده من أيّ إنسان كان ... ولم يكن  
القانون الفرنسي بأحسن حالاً وأرحم من القانون الإنكليزي، فقد كان  
يعاقب بالإعدام كل من يرتكب جريمة واحده من مائتي وخمس عشرة  
جريمة، أكثرها جنحٌ لا تستوجب الإعدام. وكانت محاكماتهم في القرن  
المذكور عجيبه غريبه، فهي لا تحاكم الأحياء العقلاء فقط، بل تشمل حتى  
الحيوانات والجمادات والأموات! وكانت العقوبات تنزل بجميع هؤلاء

---

(١) رواه أبو داوود في كتاب البيوع (باب: في الرجل يأكل من مال ولده حديث ٣٥٣٠ وابن  
ماجه في كتاب التجارات (باب: ما للرجل من مال ولده) حديث ٢٢٩١ وصححه الألباني.

أحياءاً وأمواتاً، عقلاء وغير عقلاء بحرقهم وتقطيع أوصالهم وشفاهم  
وألستهم وصلم آذانهم<sup>(١)</sup>. فاللهم لك الحمد على نعمة الإسلام.

### وسطية العقوبات في الشريعة الإسلامية

دعا رسول الله ﷺ إلى الرفق وحضّ عليه صحابته، فقال:

«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف،  
وما لا يعطي على ما سواه»<sup>(٢)</sup>.

وقال:

«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»<sup>(٣)</sup>.

وطبق النبي الكريم ﷺ ما دعا إليه ويتجلى شيء من ذلك: بما رواه أنس  
بن مالك رضي الله عنه فقال:

(خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته  
لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته)<sup>(٤)</sup>.

ومع هذا الرفق واللين، فقد دعا إلى عقوبة من يستحق العقوبة بقدر ما  
يعيده إلى رشده من غير افراط العقوبة ولا التفريط فيها: فهي عقوبة

---

(١) يسألونك ليزدادوا إيماناً للمؤلف ص ١٧٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (باب: فضل الرفق) ٤ / ٢٠٠٤، حديث ٢٥٩٣.

(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (باب: فضل الرفق) ٤ / ٢٠٠٤، حديث ٢٥٩٤.

(٤) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة (باب: ما جاء في خلق النبي ﷺ) ص ٤٥٦، حديث

وسطية بين الشدة واللين؛ ذلك لأن الغاية من العقوبة ليست ذاتها، لكن ما تنتج عنه من تقويم السلوك واعتدال النهج، يقول الماوردي وهو يتحدث في عقوبات التعزير:

(التعزير تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله، فيوافق الحدود من وجه، وهو أنه تأديب استصلاح وزجر يختلف بحسب اختلاف الذنب)<sup>(١)</sup>.  
ويقول ابن تيمية:

(ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان اليهم والرحمة بهم: كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة مريضه)<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب هذان الإمامان الجليلان - وغيرهما كثير - هذا المذهب، استهداءً بهدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه فقال:

«مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عسرا، وفرقوا بينهم في المضاجع»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٣٦، الطبعة الثانية ١٣٨٦-١٩٦٦، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٢) الإختيارات لابن تيمية ص ٢٨٨، طبع سنة ١٣٦٩.

(٣) رواه الإمام أحمد باسناد صحيح ٢٤٣/٦، حديث ٦٦٨٩، وأبو داؤد في كتاب الصلاة (باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة) ص ٩١، حديث ٤٩٤، وغيرهما.

ففي هذا الحديث دعا النبي ﷺ الآباء إلى ضرب أولادهم ممن بلغ عمره عشر سنين بعد أن قدم الآباء لهم النصائح ثلاث سنين، وظل الولد على عصيانه في أمر الصلاة، فكان ضربه ضربا غير مبرح ضرورة ووسيلة ناجحة لعله يذوق لذة العبادة، فينشأ طائعا لربه، مستجيبا لأمره ومنتھيا عن نهيہ. ولم يكن الضرب الذي دعا اليه النبي ﷺ في كل مخالفة من المخالفات، بل في العظام من الأمور فقط كالصلاة التي هي عماد الدين مثلا.

ورأى الصحابة منهج النبي ﷺ في العقوبة فاقتدوا به: فكانت الوسطية بين الشدة واللين هي منهجهم في الحياة، فلم يصدر الواحد منهم عقوبة الا في أضيق الحدود، من أجل تقويم نهج الناس واعتدال سلوكهم. فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ يبين طريقة الجلد على من استحقت عليه عقوبته؛ فيوصي الضارب بأن لا يضرب بكل قوة يده، وقد أتى ﷺ برجل في حد؛ فأتي بسوط، فقال: (اريدُ الينَ من هذا. فأتي بسوط فيه لين فقال: أريد أشد من هذا، فأتي بسوط بين السوطين فقال: اضرب، ولا يرى إبطك، وأعط كلَّ عضو حقه)<sup>(١)</sup>.

ومع هذا فإن الحاكم لا يقدم على العقوبة الشديدة إذا كانت العقوبة الخفيفة زاجرة له.

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٥/٥٢٤، حديث ٢٨٦٦٤، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين الطبعة الثانية، ٢٠٠٥-١٤٢٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

ألوان من وسطية الإسلام:

## ١ - وسطية الإسلام في الزكاة

الزكاة في اللغة: التطيب. وسميت الزكاة ذكاة؛ لأنها تطيب رائحة الذبيحة. وقد عرفها الفقهاء بأنها: إنهار الدم، وفري الأوداج في المذبوح. ولكن لننظر كيف كان حال الزكاة في اليهودية والنصرانية والإسلام؟ اليهود لا يذبح لهم إلا رئيس ديني بسكين بالغة الحد في التحديد، وفي مرة واحدة يمرها. ولا شك أن في هذا من الحرج والتضييق ما فيه.

أما النصارى، فانهم فرطوا في الذبح، حتى صاروا يقتلون عنق الدجاجة فيقتلونها من غير إسالة دم، أو يخنقونها في الماء، أو بوساطة الصعق الكهربائي المميت، كل ذلك من غير إسالة دم. وهذا هو الشائع الآن في دول الغرب!

وأما الإسلام، فهو في أمر الزكاة وسط بين هؤلاء وهؤلاء؛ ذلك أن الأصل في الذبح أن يكون بالسكين. وقد أجاز الفقهاء الذبح بكل محدد يقطع، سواء أكان من الحديد، أو الزجاج أو النحاس، أو الذهب، أو الخشب المحدد، أو الحجر إلا السن والظفر والعظم؛ لأن الذبح بها لا يسيل الدم كما يجب، وفيه تعذيب للحيوان - بعد ذلك - . وقد بين النبي ﷺ أن (ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل) <sup>(١)</sup>. وأمر النبي ﷺ بإحسان الذبح فقال:

«ان الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا

(١) رواه الجماعة. وانظر: مسلم بشرح النووي ١٣/١٢٢.

ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحدّ أحدكم شفرته؛ فليرح ذبيحته»<sup>(١)</sup>.

## ٢- وسطية الإسلام في المجال الاقتصادي:

نظر في المجال الاقتصادي، فنرى الرأسمالية قد أباحت الملكية إباحةً مطلقة، ولو كانت هذه الإباحة تلحق الضرر بكثير من الناس: كالربا والاحتكار والمتاجرة بالزنا... كل ذلك مشروع في النظام الرأسمالي.

وعلى العكس من ذلك، فقد ضيقت الاشتراكية في الملكية تضيقاً شديداً؛ فصادمت فطرة الإنسان في حب التملك، وقتلت الحوافز في نفوس الناس: فلا يبذل الفرد في المجتمعات الاشتراكية إلا أقل الجهد، ولا يتقن العمل؛ بسبب فقدان الحافز.

أما الإسلام، فقد جاء بالتوسط والاعتدال: فلم يبح الملكية والعمل والاكْتساب إباحة مطلقة كالرأسمالية، ولم يمنع الملكية منعاً مطلقاً كما فعلت الشيوعية، وإنما توسط في ذلك: فأباح التملك إباحة مقيدة، وتقيدها جاء ببيان الوجوه المشروعة منذ الحصول عليها إلى ان تزول أو تندثر. وحين نقرأ في الفقه الإسلامي، نرى حرية التملك مشروطة بشروط منها: اجتناب المحرمات: كالربا والاحتكار واستغلال النفوذ. وقد حرّم الإسلام السرقة والغصب وأكل أموال الناس بالباطل...

---

(١) رواه الإمام أحمد، ومسلم -واللفظ له- في كتاب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد

الشفرة. رقم الحديث ١٩٥٥.

### ٣- وسطية الإسلام وواقعيته في نظره إلى المال والأخلاق:

أراد الله ﷻ أن يكون الإسلام هو آخر دين في الأرض: لا ينسخ ولا يُبدل ولا يغير ولا يحرف؛ لذلك كان كل حكم من أحكامه يصلح للتطبيق في كل زمان وفي كل مكان. وإذا تأملنا في نظره إلى المال وإلى الأخلاق، نراها تتماشى وما فطر الله عليه الناس كذلك. وإذا قارنا بين نظرة الإسلام إلى المال والأخلاق ونظرة ما جاء في الأناجيل، نرى الإسلام قد بلغ القمة في وسطيته وواقعيته. وهذان مثالان فقط من أمثلة كثيرة:

أ. الإسلام دين واقعي يراعي الطبيعة البشرية. فالإنسان -مثلاً- فُطِرَ على حب التملك وتنميته والمحافظة عليه؛ فقال النبي ﷺ:

«لو ان لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على مَنْ تاب»<sup>(١)</sup>.

لذلك نجد الشريعة الإسلامية جعلت من مقاصدها الخمسة حفظ المال، بعد حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض.

هذه هي نظرة الإسلام إلى المال: لم ينظر إليه نظرة عدا، ولم يذم الغنى، بل مدحه ان كان من طريق مشروع وكسب حلال. وقد امتنَّ القرآن

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب: ما يُتقى من فتنه المال) حديث ٦٤٣٩. انظر: البخاري مع الفتح ١١/٣٠٥، ومسلم في كتاب الزكاة (باب: لو ان لابن آدم واديين لا يتغنى ثالثاً) حديث ١٠٤٨. انظر: صحيح مسلم ٢/٧٢٥، والترمذي في مناقب أبي ابن كعب حديث ٣٨٠٢ و٣٩٠٧. انظر تحفة الأحوذى ١٠/٢٧٤ و٣٦٦.

الكريم على رسول الله ﷺ بقوله:

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ سورة الضحى .

وقال صلوات الله وسلامه عليه:

«نعم المال الصالح للرجل الصالح»<sup>(١)</sup>

وقال:

«ما نفعني مال كمال أبي بكر»<sup>(٢)</sup>.

وتبدو وسطية الإسلام في التوازن الإقتصادي بين الناس، وهذا لا يعني عدم وجود تفاوت في الثراء، لأن الناس بطبيعتهم يتفاوتون في الذكاء والجد والإجتهاد، ويتفاوتون -أيضا- بالصبر والجلد.... ولكن المراد بالوسطية في المجال الإقتصادي هنا التقريب بين المستويات المالية بين الناس، وعدم جعل الثروات الكثيرة في ايدي عدد قليل من الناس والله تعالى يقول:

﴿ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ سورة الحشر / ٧ .

لما نصر الله نبيه محمدا ﷺ في غزوة بني النضير وفتح عليهم فيهم، قسم النبي ﷺ الفياء بين المهاجرين فقط بعد أن أخذ موافقة الأنصار على ذلك، ولم يعط من الأنصار الا اثنين كانا يعانيان من الفقر، لأنه ﷺ أراد أن يجعل

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير بإسناد صحيح .

(٢) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة بإسناد صحيح .

توازناً بين المهاجرين والأنصار في المجال الإقتصادي فجاءت الآية الكريمة، ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَعْيُنِ﴾ لتشير الى العلة في حكم التصرف بهذا الفيء، فأعطت ولي الأمر حق اتخاذ الوسائل التي تحقق التوازن الإقتصادي في طبقات الأمة. وقد أدرك هذه الحقيقة بنظره الثاقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرّر في خلافته في أمر أراضي سواد العراق المفتوحة أن تظل ملكا للدولة والناس أجراء عليها، وأيده في ذلك الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال:

(إنكم لو فعلتم ذلك - أي لو قسمت هذه الأراضي بين الغانمين - لآلت إلى رجل واحد أو امرأة واحدة)<sup>(١)</sup>.

وتحقيقا للتوازن الإقتصادي - أيضا - جاء الإسلام بنظام الإرث كي لا تنحصر الثروة في أيدي أفراد قلائل، وهذا بلا ريب لون من ألوان وسطية الإسلام في التوازن الإقتصادي.

وهذا لا يمنع أن يمتلك المسلم ما يشاء، على أن يكون بالطريق المشروع، ولا يلحق أذىً بالناس الآخرين، ويؤدي ما فرّض الله عليه في ماله. ونجد من الصحابة الكرام من كان غنياً موفوراً الغنى كعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وقد كان ينفق من ماله الكثير. ومع ذلك، فلما مات كسّر ورثته الذهب بالفؤوس لكثرتها!

---

(١) ينظر كتابنا: لمحات من المبادئ الإقتصادية في الفكر الإسلامي ص ٢٦.

أما الزبير بن العوام رضي الله عنه، فلما مات خَلَفَ ثروة طائلة لورثته تعد خمسين مليوناً وثلاثمائة ألف، ما بين دينار من الذهب، ودرهم من الفضة<sup>(١)</sup>.

وننظر في الإنجيل، فاذا به يحكي عن السيد المسيح عليه السلام قوله لمن أراد أن يتبعه: بَعْ مَالَكَ وَاتَّبِعْنِي!

وجاء في الإنجيل -أيضاً-:

(إنَّ الغني لا يدخل ملكوت السموات حتى يدخل الجمل في سَمِّ الخياط).

ب. شرع الإسلام لمن أسيء إليه أن يقابل تلك السيئة بمثلها من غير ظلم، لكنه -في الوقت نفسه- رغب في العفو والصفح عن المسيء، قال الله تعالى:

﴿ وَحَزَبُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ سورة الشورى.

وقال:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ سورة النحل.

والعفو عن المسيء في الآيتين لم يُفرض على المسلم، بل هو مُرغَّبٌ فيه.

---

(١) اليقظة الإسلامية تأليف شيخنا العلامة بشير الصقال ص ٦٢. مطبعة الزهراء في الموصل ١٤٠٨-١٩٨٨.

ومن أسبىء إليه فهو بالخيار: إن شاء عاقبَ المسيء، وإن شاء عفا عنه وصبر. وينبغي أن يكون المسلم حكيماً يضع كل شيء في موضعه المناسب: فيعاقب في الحالات التي تستوجب العقوبة، ويعفو ويصفح في حالات أخرى. وننظر في الإنجيل فاذا فيه:

(أحبوا أعداءكم: مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَأَدِرْ لَهُ الْأَيْسَرَ...  
وَمَنْ سَرَقَ قَمِيصَكَ فَأَعْطِهِ إِزَارَكَ)!

وهذا التوجيه لا يصلح أن يكون توجيهاً عاماً للناس كلهم في كل عصر من العصور وفي كل زمان وفي كل مكان؛ فان طبيعة الإنسان لا تقبل أن يحب الإنسان عدوه، ولا يقبل أن تدير الخدَّ الأيسر لمن ضرب الخد الأيمن.

ان هذا العفو الذي دعا إليه الإنجيل يُجرِّئ الأشرار على الإساءة إلى الناس الأبرار، بل ان معاقبة قسم من هؤلاء قد تكون واجبة لمنع الاعتداء على الناس والأمر كما قال القائل:

ليس الرقى لجميع الداء شافيةً الكيُّ أشفى لجلد الأجرب النَّغْلِ  
وهكذا نرى وسطية الإسلام وواقعته في نظرته إلى الأخلاق<sup>(١)</sup>.

---

(١) يدعي العالم الغربي أنه متمسك بمسيحيته، وقد رأيناه من قبل كيف ارتكب من المجازر التي يشيب لها الولدان، ورأيناه في العصر الحديث ماذا فعل بأفغانستان، وفي العراق، وفي عدد من الدول الإسلامية ظلماً وعدواناً!  
ان طائرات المسلمين لم تتجه إلى أمريكا ولم تقم بضرها، ولم تضرب صواريخ المسلمين =

## وسطية الإسلام بين الروحية والمادية:

هناك بون شاسع بين موقفى اليهودية والنصرانية من الروحية والمادية: أما اليهودية، فقد اهتمت اهتماماً بالغاً بالحياة المادية، وصارت كل

---

=ولا مدافعهم ولا قنابلهم أمريكا، بل أمريكا هي التي فعلت ذلك، واحتلت العراق وأفغانستان من قبل، وأعملت بأبناء البلاد طائراتها ودباباتها وصواريخها ومدافعها وقنابلها، وقامت بتدمير معاملها ومؤسساتها...! فعلت ذلك وهي تقرأ في إنجيلها صباح مساء: مَنْ صَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَأَدِرْ لَهُ الْأَيْسَرَ!! وما أروع الصورة التي قدّمها لنا شاعرُ النيل حافظ إبراهيم عما فعلته إيطاليا من مجازر في (طرابلس) سنة ١٩١٢ وما أشبه الليلة بالبارحة - فقال:

طَمَعُ الْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا	فاسْتَفَقْ يَا شَرْقُ واحْذِرْ أَنْ تَنَامَا
وَاحْمَلِي أَيَّتْهَا الشَّمْسُ إِلَى	كُلِّ مَنْ يَحْمِلُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
وَاشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي أَنَّنَا	فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا
مَادَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَتْ	مِنْ دَمِ الْقَتْلِ حَلَالًا وَحِرَامَا
عَجَزَ الطَّلِيَانُ عَنِ أَبْطَالِنَا	فَأَعْلَوْا فِي ذَرَارِينَا الْحُسَامَا
كَبَلُوهُمْ قَتَلُوهُمْ مَثَّلُوا	بِذَوَاتِ الْخَدْرِ طَاحُوا بِالْيَتَامَا
ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمْنَى وَلَمْ	يَرْحَمُوا طِفْلًا، وَلَمْ يُبْقُوا غُلَامَا
أَحْرَقُوا الدُّورَ اسْتَحَلُّوا كَلَّمَا	حَرَمَتْ (لَا هَاي) فِي الْعَهْدِ احْتِرَامَا
بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ	فَسَلُّوهُ بَارَكَ الْقَوْمَ عَلَامَا؟!!
أَبْهَذَا جَاءَهُمْ إِنْجِيلُهُمْ	أَمْرًا يُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سَلَامَا؟!!
كَشَفُوا عَنِ نِيَةِ الْغَرْبِ لَنَا	وَجَلُّوا عَنِ أَفْقِ الشَّرْقِ الظَّلَامَا
فَقَرَأْنَاهَا سَطُورًا مِنْ دَمٍ	أَقْسَمَتْ تَلْتَهُمُ الشَّرْقَ التَّهَامَا

شيء في حياة الناس. ونقرأ التوراة المتداولة بين الناس الآن، فلا نكاد نجد أثراً للروحانية في أسفارها الخمسة، بل لا نكاد نجد للآخرة مكاناً فيها. وفوق ذلك، فقد جعلوا الوعد والوعيد يتعلقان بأمور دنيوية: فالصحة والثراء وطول العمر والنصر على الأعداء إن هي إلا المثوبات التي بشرت بها التوراة، وما المرض والفقر والموت والهزيمة إلا لمن يُعرض عن الشريعة. وأما الجزاء الآخروي، فلا نكاد نجد له مكاناً فيها!

وعلى العكس من موقف التوراة من القضايا الروحية كان موقف الأناجيل التي يتداولها القوم الآن. ننظر في الإنجيل، فنرى الدعوة فيه إلى إلغاء قيمة الدنيا، وان كل من أراد مملكة السماء، فعليه أن يُعرض عمّا في الأرض وما فيها من زخارف ونعيم. ونتأمل مرة أخرى بالإنجيل، فيهلونا غلّوهم في الروحانية والإعراض عن طيبات الحياة الدنيا. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل قام النصرارى بابتداع الرهبنة. وفي هذا النظام كبت للغرائز التي أودعها الله في النفس البشرية، وذلك حين يُعرض الإنسان عن الزواج. وانتشر نظام (الرهبنة) الذي ابتدع وبخاصة في العصور الوسطى، وفيه ما فيه من البعد عن النظافة. وقد ذكر لنا العلامة أبو الحسن علي الحسيني الندوي - رحمه الله - شيئاً مما كانت عليه الرهبانية في العصور الوسطى فقال:

(ظل تعذيب الجسم مثلاً كاملاً في الدين والأخلاق إلى قرنين، وروى المؤرخون من ذلك عجائب: فَحَدَّثُوا عن الراهب (ماكارْيوس) أنه نام

سنة أشهر في مستنقع، ليقررص جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل دائماً نحو قطار من حديد، وكان صاحبه الراهب (يوسيبس) يحمل نحو قطارين من حديد، وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نُزح، وقد عبَدَ الراهب (يوحنا) ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة، ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة، فإذا تعب جداً أسندَ ظهره إلى صخرة.

وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائماً، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل، ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكل كثيراً من الكلاً والحشيش، وكانوا يعدّون طهارة الجسم منافيةً لنقاء الروح، ويتأثّمون من غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم: أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس. يقول الراهب (اتهنس): ان الراهب (انتوني) لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب (ابراهيم) لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد قال الراهب (الاسكندري) بعد زمنٍ متلهفاً: وا أسفاه! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات...<sup>(١)</sup>.

أما الإسلام، فقد وازن في كل جانب من جوانب الحياة الروحية والمادية؛ ذلك أن الله -ﷻ- أراد أن يكون هذا الدين خالداً باقياً إلى الناس

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين تأليف العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ص ١٨٤-١٨٥. الطبعة الحادية عشرة ١٣٩٨-١٩٧٨. دار السلام، حلب - بيروت.

كلها إلى أن تقوم الساعة لا يُنسخ ولا يُبدل ولا يُغيّر، وتكفل الله بحفظ مصدره الأول القرآن الكريم فقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ؛ لذلك نجد الاعتدال فيه واضحاً في كل جانب من جوانبه. فدعا الإسلام أن يهتم المسلم بالروح والجسد معاً، فلا تشغله الدنيا فيقصر في عبادة الله، ولا ينقطع للعبادة فقط فيقصر في حق دنياه. فالله ﷻ يقول:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾  
سورة الجمعة/ ١٠

فهذه الآية الكريمة تأمر المسلم البالغ العاقل المقيم بأداء صلاة الجمعة. وهذه الصلاة لا تستغرق إلا فترة وجيزة من الزمن، فإذا انتهى المسلم من أداء الصلاة، عاد إلى عمله الدنيوي: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠﴾. والمراد بفضل الله هنا: الرزق والكسب.

ونرى الإسلام حين أمر المسلم بالعبادة والتردد إلى المساجد، دعاه في الوقت نفسه إلى الاشتغال بالتجارة أو البيع أو أي عمل كان من الأعمال المشروعة، على أن يوازن بين حق الله وحق الجسد. وقد مدح الله عباده الصالحين بقوله:

﴿ رِجَالٌ لَا لُتْهِمِهِمْ تَحْرُجُهُمْ وَلَا يَتَّبِعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ  
يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) سورة النور.

ونظر في موسم الحج، فنرى الروح العالية فيه تسمو، وتكون القلوب قريبة من الله سبحانه، ونرى القرآن الحكيم قد أثنى على الذين يطلبون الحسنة في الحياتين والسعادة في الدارين:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ  
حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) أَوْلَيْكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ ﴾ (٢٠٢) سورة البقرة.

أما النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيقول:

«ليس خيركم مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ، حَتَّى يَصِيبَ  
مِنْهَا جَمِيعًا؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا بِلَاغِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا كَلَّا عَلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وهكذا جمع الإسلام بين العبادة والعمل للدنيا، بل جعل العمل  
الديني بالنية الحسنة عبادة لله.

وسطية الإسلام في العبادة:

نظر في القرآن الكريم، فنراه يذم الإفراط في العبادة والغلو فيها كما  
يذم التفريط - أيضاً - فمن ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا

(١) رواه ابن عساکر. وقال السيوطي: صحيح الإسناد.

حَقَّ رِعَايَتَهَا فَتَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿ سورة الحديد / ٢٧ .

الرهبانية: (هي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس وإيثار العزلة والتبتل)<sup>(١)</sup>.

وهذه الرهبانية التي أشار إليها القرآن الحكيم، هي لون من ألوان الغلو في العبادة، ابتدعها النصارى من عند أنفسهم، من غير أن يكتبها الله عليهم، أو يشرعها لهم: فهم الذين ألزموا أنفسهم بها حتى صاروا مرتبطين أمام الله بأن يحافظوا على ما تقتضيه: من ذكر وعبادة وقناعة وعفة وترفع ... لكنهم أخفقوا في القيام بها، ولم يتمكنوا من أداء ما تقتضيه؛ وذلك للمشقة الشديدة في أدائها. وقول الله تعالى: ﴿ مَا كُنْبَنَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ دليل واضح على أن الله تعالى لا يكلف الإنسان إلا ما في وسعه، من غير أن يكون فيه مشقة شديدة. ومعنى: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾: أي أن هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية قصدوا بها التقرب إلى الله وطلب رضوانه، لكنهم أخطأوا في ذلك.

وإذا كان القرآن قد ذمَّ الرهبنة، فقد ذمَّ - في الوقت نفسه - التفريط في العبادة وتضييعها وإهمالها، من ذلك قول الله تعالى:

﴿ خَلَفَ مِنْ بَٰعِثِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ

(١) تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) ٨/١٦.

وقد جاءت هذه الآية بعد الآيات التي تحدثت عن الأنبياء ومن اتبعهم من الملتزمين بحدود الله. وبعد ذلك جاء ذكر الذين خَلَفُوهم بعد قرون، فكان منهم الذين ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي عماد الدين، وأقبلوا على الشهوات والملذات المحرمة يعبونها عباً!! هؤلاء رَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فسوف يلقون شراً كبيراً، وعذاباً أليماً يوم القيامة.

أمثلة على وسطية الإسلام في العبادة:

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعيشون مع النبي ﷺ، عاملين بمنهج الوحي، وقدموا لنا بذلك صورة باهية الجمال في تطبيق منهج الله. وبهذا استحقوا أن ينالوا شرف خيرية هذه الأمة؛ فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

«خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»<sup>(١)</sup>

ومع هذا، فقد وقعت حوادث فردية من عدد قليل من الصحابة تشير إلى اتخاذهم سبيل الغلو والتشدد في الدين، وكانت رغبة هؤلاء الصحابة صادقة للزيادة من الخير، لكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ردهم عن ذلك، وسلك بهم سبيل الاعتدال لئلا يقعوا ببدعة الرهبانية التي وقع

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: فضل أصحاب النبي ﷺ)

بها النصارى وتلك هي الحكمة عينها؛ ذلك أن النبي صلوات الله وسلامه عليه أراد من المسلم أن يعبد الله بما يستطيعه ويقدر على الاستمرار عليه، وأن يتعد عن العبادة التي لا يطيقها أو لا يقدر على الاستمرار عليها. وهذه أمثلة على ذلك:

يروى أنس بن مالك رضي الله عنه هذا الحديث فيقول:

(جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي. فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله، إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>.

ونقف هنا وقفة قصيرة أمام هذا الحديث؛ فان الرهط في اللغة ما دون العشرة من الرجال. جاء هذا الرهط يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم. وهكذا المسلم ينبغي عليه أن يسأل عما ينفعه في الدنيا والآخرة.. جاءوا إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهن أعرف الناس بعبادته عليه السلام. ولما أخبروا بعبادته ظنوها قليلة؛ لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح (باب: الترغيب في النكاح) ١٤٢/٦ رقم ٥٠٦٣.

ان هذا الرهط أخطأ الفهم الصحيح للعبادة؛ لذلك نبههم النبي ﷺ إلى خطئهم، وصحح نظرهم لتحصيل خشية الله؛ لأن النبي ﷺ لا يقر أحداً على خطأ.

ونجد الوسطية التي دعا إليها الإسلام واضحة كل الوضوح في هذا الحديث الشريف، فان رسول الله ﷺ هو أكثر الناس خشيةً لله وأتقاهم له؛ إذ هو أعلمهم بالله وباليوم الآخر، ومع ذلك، فهو يصوم ويفطر، ويصلي ويرقد، ويتزوج النساء؛ ذلك أن خشية الله وتقواه لا تتقاطع مع الإفطار والرقود وتزوج النساء، بل كانت سنة النبي ﷺ في هذا هي القمة في خشية الله وتقواه.

أما قوله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، فان النبي الكريم أراد أن يوضح للرهط ولكل مسلم -بعد ذلك- ان سنته في صومه وإفطاره، وصلاته ورقوده، وتزوجه النساء هو المسلك الصحيح الذي دعا إليه هذا الدين، وغيره من المسالك إنما هو انحراف عن المنهج الذي أراده رسول الله ﷺ، وهو يمثل قمة الاستقامة وليس معنى قوله: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» خروجه عن الإسلام ودخوله في الكفر، بل معناه: ان الذي يسلك مسلك الغلو هذا ليس على طريقتي التي أدعو إليها.

وتبدو الوسطية في هذا الحديث واضحة -أيضاً- في يسر الدين ورفعته للخرج؛ فان الامتناع عن الزواج فيه مشقة وخرج، وسلوا عن فضائح الرهبان التي وقعت في أوروبا وغير أوروبا نتيجة ذلك؛ لتعلموا أن هذا الدين

يتماشى وفطرة الله التي فطر الناس عليها.

هذا موقف من مواقف الغلو يُجَلِّي لنا سبب هذه النزعة: وهي الرغبة الصادقة في التزود من الخير التي دفعتهم للسؤال عن أسلوب النبي ﷺ في عبادته.

ومن حكمة النبي ﷺ في هذا الحديث، انه لم يذكر أسماء الرهط، ولم يُشَهِّرْ بهم، بل استدعاهم، وبيَّن لهم الطريق الصحيح في العبادة. وهكذا ينبغي أن يكون إرشاد الناس. وهذه أمثلة من هذا الحديث عن الوسطية:

(١- امتناع عن الزواج مطلقاً إفراط. ويقابله التفريط: وهو اتباع الشهوات دون وازع أو قيد، وبينهما قضاء الشهوة والوטר، ولكن ضمن الضوابط الشرعية، ويتمثل بالزواج. وهذا هو الوسط، وهو المشروع.

٢- صيام دائم إفراط.

إفطار دائم تفريط.

الصيام أحياناً والفطر أحياناً وسط بين الأمرين، وهو المشروع في ضوابطه الشرعية.

٣- القيام مطلقاً- إفراط.

النوم مطلقاً - تفريط.

القيام والنوم حسب الطاقة ودون تكلف ووسط، وهذا هو المشروع<sup>(١)</sup>.

---

(١) الوسطية في القرآن الكريم ص ١٧٦.

وتتجلى وسطية الإسلام في العبادة - أيضاً - في عدد من أحاديث النبي ﷺ، من ذلك قوله:

«إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَصَلِي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ؛ فَإِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسِبُ نَفْسَهُ»<sup>(١)</sup>.

يرشد النبي ﷺ أمته في كل زمان وفي كل مكان إلى الوسطية في أمر العبادة. ففي هذا الحديث: الترغيب في صلاة الليل، ولكن على أن يكون منشرح الصدر في صلاته، من غير أن يكون فيه شيء من الضيق والحاجة إلى النوم. وهكذا تكون الوسطية في العبادة؛ فإن الله لا يكلف الإنسان بإرهاق نفسه، وتحميلها المشاق الشديدة في العبادة.

وفي هذا المعنى ما ورد من أن النبي ﷺ دخل المسجد، فرأى حبلاً ممدوداً بين ساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزینب بنت جحش أم المؤمنين، فإذا فترت - أي تعبت في العبادة - تعلقت به، فقال النبي ﷺ:

«حُلُوهُ، لِيَصَلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ»<sup>(٢)</sup>.

لقد أرادت زينب رضي الله عنها أن تستزيد من العبادة؛ ففعلت ما فعلت، لكن النبي الرحيم نهاها عن ذلك، وأمرها أن تصلي في حالة

---

(١) رواه البخاري في باب الوضوء من النوم. انظر: البخاري مع الفتح ٤٠٩/١ - ٤١٠ حديث ٢١٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة (باب: ما يكره من التشدد في العبادة) ٢/٦٠ رقم ١١٥٠.

نشاطها، فإذا أصابها التعب أو الكسل فإن عليها أن تترقد. وقد علق الإمام النووي على هذا الحديث فقال:

(فيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق. وليس الحديث مختصاً بالصلاة، بل هو عام في جميع أعمال البر. وفي الحديث: كمال شفقتك ﷺ ورأفته بأمتك، لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر؛ فتكون النفس أنشط، والقلب منشرحاً؛ فتم العبادة بخلاف مَنْ تعاطى من العبادة ما يشق عليه، فانه بصدد أن يتركه أو بعضه، أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب؛ فيفوته خير عظيم) (١).

ويفهم من هذا الحديث -أيضاً- أن النبي ﷺ أراد من المسلم أن يكون خاشعاً في صلاته، وأن يكون قلبه حاضرّاً فيها؛ حتى يستشعر الروحانية العالية للآيات التي يتلوها في الصلاة، ويتدبر في معانيها، وما فيها من أحكام؛ ذلك أن الناعس لا يخشع قلبه في الصلاة، وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها.

ويروي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما هذا الحديث فيقول:

«قال لي رسول الله ﷺ: يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فان لجسدك عليك حقاً، وان لعينك عليك حقاً، وان لزوجك عليك حقاً، وان

(١) رواه مسلم بشرح النووي في كتاب صلاة المسافر (باب: فضيلة العمل الدائم) ٦ / ٧١.

لزورك - أي لزائرِك - عليك حقاً، وان بحسبِك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام: فان لك بكل حسنة عشر أمثالها؛ فان ذلك صيام الدهر كله. فشددت فشدد عليّ. قلت: يا رسول الله، أنا أجد قوة، قال: فصم صيام نبي الله داوود عليه السلام ولا تزد عليه. قلت: وما كان صيام نبي الله داوود عليه السلام؟ قال: نصف الدهر؛ فكان عبد الله يقول: بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>.

لقد ذاق عبد الله حلاوة العبادة ولذة مناجاة الله؛ لذلك صام نهاره وقام ليله ولم يرد من وراء ذلك إلا الخير.. لم يرد إلا الرضوان من الله، لكنّ المربي الرحيم رسول الله ﷺ كان يتابع نهج أصحابه فيما يتعلق بأموورهم الدينية والدنيوية؛ فأرشده إلى العبادة الصحيحة كيف تكون، وبين له أن الطبيعة البشرية لا تستطيع أن تستمر على هذه العبادة فترة طويلة من الزمن؛ لذلك لما تقدمت بعبد الله السن صعب عليه أن يقوم بالعبادة التي آلى على نفسه القيام بها كما كان يقوم بها في عهد الشباب، فكان يقول: (يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ)!

ويروي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هذا الحديث فيقول:

(بينما النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم؛ فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم؛ فقال النبي ﷺ: «مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم

---

(١) رواه البخاري مع الفتح في كتاب الصيام (باب: حق الجسم في الصوم) ٢٦٠/٤ حديث

والحكمة في ذلك أن الصوم قرابة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى؛ فصار واجباً بالذم، وأما القيام في الشمس، وعدم الكلام، وعدم القعود، ففي هذا من المشقة ما فيه، والشرع لم يلزمه بذلك؛ فلا يجب الوفاء به. وجاء الأمر من النبي ﷺ لأبي إسرائيل بذلك؛ لأن العبادة لا تكون بتعذيب الجسم، ولا بتحريم ما أحلَّه الله من حلال. وحين نتأمل بالحديث نرى أنه ليس خاصاً بعدم الكلام وعدم الاستظلال وعدم القعود، بل هو يشمل كل ما يلحق بالمسلم الأذى، وفيه مشقة شديدة، مما ليس فيه شيء من الطاعة ولا القرية.

هذه المعاني فهمها الصحابة الكرام وطبقوها على أنفسهم. فقد روى الإمام البخاري قال: أخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء. فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذلة (لابسة ثياب المهنة وتاركة ثياب الزينة) فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل فاني صائم. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل؛ فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال له سلمان: نم؛ فنام، ثم ذهب يقوم؛ فقال له: نم؛ فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن؛ فصليا جميعاً؛ فقال له سلمان: ان لربك عليك حقاً، وان لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً؛ فأعط كل ذي حق حقه. فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ،

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور (باب: النذر فيما لا يملك).

فذكر له ذلك؛ فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»<sup>(١)</sup>.

لقد أدرك سلمان حقيقة الوسطية في العبادة التي تلقاها من النبي ﷺ؛ فاستعمل مع أبي الدرداء الحزم والحكمة معاً في رده إلى الوسطية في العبادة، حين أبى أن يأكل له طعاماً حتى يأكل معه فأكل، وحين أمره بالنوم مرتين حين أراد القيام، ثم قام معه وصلياً معاً في آخر الليل. ولما أخبر أبو الدرداء النبي ﷺ بما حصل صدق سلمان فيما قال.

من سمات الغلاة:

هناك صفة يتصف بها الغلاة، الذين لم يتخذوا الاعتدال والوسطية منهجاً لهم. وقد ذكر النبي ﷺ من أوصافهم فقال:

«يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»<sup>(٢)</sup>.

ان الصفة الأولى لهم: أنهم يقرؤون القرآن ولا يتفعون به لفهمهم السقيم فكانوا يأخذون آيات من القرآن نزلت في الكفار فيحملونها على المسلمين. وعدم فهم هؤلاء للقرآن أدى بهم إلى عدم قبولهم بالسنة النبوية: فكانوا يُصدّقون النبي ﷺ فيما بلغه من القرآن، لكنهم لا يأخذون بالسنة التشريعية التي تخالف بزعمهم - ظاهر القرآن!

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم (باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع) وفي الأدب (باب: صنع الطعام والتكلف للضيف).

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد (باب: ٢٣). انظر: البخاري مع الفتح حديث ٧٤٣٢.

وأما الصفة الثانية لهم، فهي شدتهم على المسلمين: لقد عُرِفَ الخوارج بشدتهم على المسلمين وقسوتهم عليهم؛ فاستحلوا دماءهم وأموالهم. وقد اخبر النبي ﷺ بهذه الصفة فقال: «... يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان». فقد قتلوا عبد الله بن خباب بن الارت المعروف بورعه وتقواه، وذبحوه على شفير النهر، وبقروا بطن أم ولده - وكانت حبلى - وهذه قصته معهم كما يرويها ابن الجوزي:

(لقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب فقالوا: هل سمعتَ من أبيك حديثاً تحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه؟ قال: نعم. سمعتُ أبي يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فان أدركتَ ذلك فكن عبد الله المقتول. قالوا: أنتَ سمعتَ هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فقدموه إلى شفير النهر؛ فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل، وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها وكانت حبلى. ونزلوا تحت نخل مواقير<sup>(١)</sup> بنهر وان، فسقطت رطبة فأخذها أحدهم، فقذف بها في فيه؛ فقال أحدهم: أخذتها بغير حدّها وبغير ثمنها؛ فلفظها من فيه. واخترط أحدهم سيفه فأخذ يهزه، فمرَّ به خنزير لأهل الذمة فضربه به يجربه فيه، فقالوا: هذا فساد في الأرض. فلقي صاحب الخنزير فأرضاه في ثمنه<sup>(٢)</sup>).

(١) نخل مواقير: كثيرة الحمل بالرطب.

(٢) تلبس ابليس لابن الجوزي ص ٩٣-٩٤. المطبعة المنيرية سنة ١٣٦٨ هـ.

وقال المبرّد:

(حُدثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رفقة، فأحسّوا الخوارج؛ فقال واصل لأهل الرفقة: ان هذا ليس من شأنكم؛ فاعتزلوا ودعوني وإياهم، وكانوا قد أشرفوا على العطب (الهلاك) فقالوا له: شأنك،

فخرج إليهم فقالوا:

ما أنت وأصحابك؟

قال: مشركون مستجيرون؛ ليسمعوا كلام الله، ويعرفوا حدوده.

فقالوا: قد أجرناكم!

قال: فعلمونا. فجعلوا يعلمونه أحكامهم، وجعل يقول: قد قبلت أنا

ومَن معي.

قالوا: فامشوا مصاحبين فانكم إخواننا.

قال: ليس ذلك لكم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ .

فأبلغونا مأمننا. فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا: ذاك لكم؛ فساروا بأجمعهم

حتى بلغوهم المأمن<sup>(١)</sup>.

وأما صفتهم الثالثة، فهي طعنهم بأئمة الهدى، وتضليلهم، والحكم

(١) ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث تأليف محمد عبد الحكيم حامد، ص ١١٢،

الطبعة الأولى ١٤١١-١٩٩١. دار المنار الحديثة / القاهرة.

عليهم بأنهم كانوا خارجين عن العدل. ولم تكن هذه الصفة ملازمة لهم في فترة زمنية محددة: كالفترة التي ظهوروا فيها في زمن سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام، بل هي موجودة فيهم عبر التاريخ: فقلما يخلو زمن من وجودهم.

وأما صفتهم الرابعة، فهي تكفيرهم المسلمين فوق استحلال دمائهم. فالخوارج - مثلاً - يَكْفُرُونَ مرتكب الكبيرة، ويترتب على تكفيرهم: استحلال دمائهم وأموالهم. وقد استحل هؤلاء دماء المسلمين لغلوهم؛ إذ يرون أن كل من ليس على منهجهم هو خارج عن الدين حلال الدم.

هذا جانب من جوانب سمات الغلاة الذين عانى منهم المسلمون على مدار التاريخ، ولا يزالون يعانون منهم كذلك<sup>(١)</sup>.

---

(١) الخوارج: طائفة خرجت على سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام لما قبل التحكيم في (صفين). وقد ذكر كتاب السير والمؤرخون انه قَبِلَهُ مضطراً ولم يقبله مختاراً، والخوارج هم الذين قبلوا التحكيم أولاً ولم يقبله سيدنا علي فلم يستجيبوا له، لكنهم عادوا إلى التحكيم فرفضوه، وخرجوا عن صفوف جمهور المسلمين، واشتروا الرجوعهم أن يقر سيدنا علي على نفسه بالكفر؛ لموافقته على التحكيم، وأن ينقض الاتفاق الذي أبرم مع سيدنا معاوية!. ولم يكتف الخوارج بهذا، بل كفروا عثمان؛ لأنه لم يسر سيرة أبي بكر وعمر، كما كفروا معاوية، وأبا موسى الأشعري، وعمر بن العاص؛ لاشتراكهم في التحكيم، وأباحوا دماءهم جميعاً.

وحين نظر في أمر الخوارج نرى أنهم جمعوا صفات متناقضة: هي التقوى، وإحسان العبادة، والإخلاص في جانب، والتشدد والخشونة والتهور وحب الموت من غير داعٍ قوي في جانب آخر: فكانوا يحملون الناس على قبول آرائهم بالقوة والقسوة والغلظة. =

ولا بد لي أن أشير هنا إلى أن حديث النبي ﷺ هذا وإن كان في الخوارج،  
إلا أنه يصدق على كثير من الغلاة في كل زمان وفي كل مكان إلى أن تقوم  
الساعة.

## الخوارج الجدد

وإذا كانت حركة الخوارج قد انتهت منذ زمن طويل وصارت في ذمة  
التاريخ، إلا أننا نجد في أيامنا هذه شباباً متحمساً - وقد يكون بعضهم  
مخلصاً في دعوته إلى الإسلام بدليل أن يرمي بنفسه إلى الموت - لكنه قليل  
العلم، يتبنى أفكاراً مشابهة لأفكار الخوارج الأوائل. وقد ذكر الأستاذ  
الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين قسماً من هذه الآراء فقال:

ومن هذه الآراء التي شابهوا فيها الخوارج:

١- التسرع في التكفير، والحرص عليه، والغلو فيه بالتكفير باللوازم،  
والتضييق في موانع التكفير، مع أن الحكم على المسلم بالكفر خطير جداً،

---

=ومن آرائهم: أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار، وإن الإجماع والقياس ليسا  
من مصادر التشريع.

ان الخوارج أناس جهال. ومن جهلهم قيام قسم منهم بوضع عدد من الأحاديث  
المكذوبة على لسان النبي ﷺ تأييداً لمذاهبهم الباطلة، في الوقت الذي يذهبون إلى تكفير  
من يصدر منه الكذب!

ومن عجيب أمرهم أنهم أمسكوا بمسلم ونصراني، فقتلوا المسلم، وأوصوا  
بالنصراني خيراً وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم. والخوارج فرق كثيرة وصلت إلى أكثر من  
عشرين فرقة.

ولا يجوز أن يخوض فيه إلا العلماء الراسخون في العلم، الذين توافرت لديهم آلة الاجتهاد، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يرمى رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

٢- إزدراء علماء المسلمين، والدعوة إلى عدم الأخذ بآرائهم، وربما تجدد أحدهم يتهم العلماء بأنواع من التهم، لأنهم لم يوافقوه في آرائه، ولم يتبعوا قوله، ولهذا يرى أنهم على باطل وهو على حق، مع أنه ليس من العلماء. وإذا كان النبي ﷺ قد أخبر أن من أسباب ضلال الناس موت العلماء، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»، فكيف بمن يُعرض عن العلماء، ويرى أن الحق مع غير أهل العلم، ومع من لم تتوافر لديهم آلة الاجتهاد الشرعي ممن قل علمهم وفقههم<sup>(١)</sup>.

وأحب هنا أن أشير إلى ما ذكره الدكتور ناصر العقل من أسباب الغلو لدى الخوارج الجدد، فقال في تبيان تلك الأسباب:

١- المتأمل في واقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى

---

(١) ضوابط تكفير المعين تأليف أ.د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص ٥٩-٦٠ الطبعة

سمات الخوارج، يجد أنهم يتميزون بالجهل، وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية، فحين يتصدون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة.

٢- تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام وأشباههم للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الشباب منهم رؤساء جهالاً؛ فأفتوا بغير علم، وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه، أخذ يلمزهم: إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن أو المداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم، وغرس الغل على العلماء والخط من قدرهم ومن اعتبارهم، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم.

٣- التعالم والغرور: وأعني بذلك أن من أسباب ظهور سمات الخوارج في بعض فئات الأمة اليوم: إدعاء العلم، في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ولا رأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره

عن العلماء عن مواصلة طلب العلم؛ فيهلك بغروره ويهلك. وهكذا كان الخوارج الأوَّلون يدَّعون العلم والاجتهاد، ويتطاولون على العلماء، وهم من أجهل الناس.

٤- شدة الغيرة على دين الله، ولكن بلا علم ولا فقه ولا حكمة. والغيرة على محارم الله أمر محمود شرعاً، لكن ذلك مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة ومراعاة المصالح ودرء المفاسد، فإذا فقدت هذه الشروط أدى ذلك إلى الغلو والتنطع والشدة والعنف في معالجة الأمور كما هو من خصال الخوارج، وهذا مما لا يستقيم به للمسلمين أمر لا في دينهم ولا في دنياهم<sup>(١)</sup>.

وأرى من الضروري هنا ان نعرِّف مفهوم الكفر وأقسامه ومتى يُكفَّر المسلم.

### مفهوم الكفر:

جاء لفظ الكفر في اللغة بمعنى التغطية والستر، يقال لليل كافر؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته. ويقال للإنسان الكافر كافر؛ لأنه ستر فطرته وعقله بالجهل.

وأما المراد بمصطلح الكفر فهو، (إنكار ما علِّم ضرورة أنه من دين محمد ﷺ كإنكار وجود الصانع، ونبوته عليه الصلاة والسلام، وحرمة الزنا

---

(١) ضوابط تكفير المعين ص ٦٠-٦١ بتصرف قليل.

ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

أقسامه:

وينقسم الكفر إلى قسمين: الكفر الأكبر: وهو الكفر بأصل الإيمان،  
والكفر الأصغر: وهو الكفر بفروع الإسلام.

أما الكفر الأكبر، فهو الكفر الصريح الواضح بالله، وصاحبه يكون من  
المخلدين في النار. ويشير إلى هذا القسم قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ  
أَجْمَعِينَ ﴿١١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ سورة  
البقرة.

وأما الكفر الأصغر، فهو لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام، ويترك في  
الآخرة لمشيئة الله: إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ولا يخلد في النار، وتناوله  
الشفاعة. وهذا هو الذي يطلق عليه كفر دون كفر. مثال هذا ما قصه الله ﷻ  
في قرآنه مما كان من أمر ما أخبر به هدهد سليمان، قال تعالى:

﴿ قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا  
رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ سورة  
النمل / ٤٠.

أي أشكر النعمة أم أكفرها فلا أشكر لها؟

(١) الموسوعة الفقهية ٣٥ / ١٤ . الطبعة الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٥ / الكويت .

ويمثل للكفر الأصغر- أيضاً- بحديث النبي ﷺ:

«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»<sup>(٣)</sup>.

وقوله:

«اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على

الميت»<sup>(٤)</sup>.

وقوله:

«أرئت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفُرْنَ». قيل: أيكفُرْنَ بالله؟ قال:

«يكفُرْنَ العشير، ويكفُرْنَ الإحسان: لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر ثم

رأتُ منك شيئاً قالت: ما رأيتُ منك خيراً قط»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب (باب: ما يُنهى من السباب واللعن)، وفي الإيمان والفتن،

ومسلم في كتاب الإيمان (باب: قول النبي ﷺ [سباب المسلم فسوق]).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الأيمان والنذور (باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله).

(٤) رواه الإمام أحمد، ومسلم في كتاب الأيمان (باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن).

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: كفران العشير، وكفر دون كفر).

فهذا الكفر هو كفر النعمة والإحسان، ولا يخرج صاحبه من الملة.  
والفارق بين الكافرين: الخلود في النار. فالكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار،  
والثاني لا يخلد.

### شروط التكفير

هناك شروط لا بد من توافرها لمن يحكم عليه بالكفر، فإذا سقط شرط  
واحد منها فلا يجوز تكفيره، وهذه الشروط هي:

١- العلم: إذا قال المسلم قولاً أو فعل فعلًا هو الكفر بعينه لا يحكم  
بكفره إلا بعد التحقق منه، فلعله يكون جاهلاً بحرمة قوله وفعله، فعند  
ذاك لا يحكم عليه بالكفر، وقد قال الله تعالى:

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ  
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٣٥﴾ سورة النساء.

وقال:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ سورة الإسراء.

وقال:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا  
فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ ﴿١٣٤﴾ سورة طه

فهذه النصوص تدل على أن الله لا يؤاخذ عباده إلا بعد أن تقام عليهم الحجة  
٢- العمد: لا بد أن يكون من يقدم على قول أو فعل يدل على الكفر أن

يكون متعمدا في ذلك، ليحكم عليه بالكفر، فإن لم يكن كذلك كان مخطئا لا يحكم عليه بذلك، وقد قال الله تعالى:

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٠﴾ سورة الأحزاب.

وقال النبي ﷺ:

(إن الله تجاوز عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)<sup>(١)</sup>.

٣- الاختيار: لا يحكم على من صدر عنه شيء من القول أو الفعل يدل على كفره بعد أن تبين له الحق الا اذا كان مختارا فيما اقدم عليه فإن لم يكن كذلك لا يحكم بكفره، لان الله تعالى يقول:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ  
بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦﴾ سورة النحل

وعقيدتنا نحن أهل السنة لا نكفر الا من كفره الله ورسوله، وأجمع العلماء على كفره، فلا نكفر أحدا أقر بالشهادتين الا إذا انكر ما علم من الدين بالضرورة، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا الا الكفر فلا يجوز اخراج المسلم إذا ثبت اسلامه الا بدليل قاطع لا يحتمل التأويل، فزواله لا يكون إلا بيقين مثله، ولا يحكم عليه بذلك الا القضاة العادلون من أهل العلم،

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الطلاق (باب: طلاق المكره والناسي)، حديث ٢٠٤٣، سنن

ابن ماجه ٦٥٩/١.

وهو حق من حقوق الله وليس حقاً للأفراد. وإذا قال المسلم قولاً أو فعل  
فعلاً مخرجاً من ملة الإسلام وكان له تأويل سائغ - ولو كان ضعيفاً - فلا  
يكفر، وقد قال ابن حجر العسقلاني:

(قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله، ليس باثم إذا كان تأويله سائغاً  
في لسان العرب وكان له وجه في العلم)<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عابدين:

(إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير، ووجه واحد يمنع، فعلى  
المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير، تحسبنا للظن بالمسلم)<sup>(٢)</sup>.

وقال الطحاوي:

(ونسمة أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ  
معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين... ولا نكفر أحداً من أهل القبلة  
بذنب ما لم يستحلّه، ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه)<sup>(٣)</sup>.  
لقد ذهب العلماء هذا المذهب استهداءً بمنهج النبي ﷺ، ما كفر أحداً  
من المسلمين بذنب فعله ولو كان الذنب كبيرة من الكبائر: كالقتل والزنا  
وشرب الخمر.

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٢ / ٣٨٠

(٢) حاشية ابن عابدين ٦ / ٣٤٥، دار المعرفة، بيروت.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٣ وما بعدها، الطبعة الثامنة ١٤٠٤ - ١٩٨٤، المكتب

الإسلامي بيروت.

وهذا المنهج نفسه هو الذي سلكه الصحابة -رضي الله عنهم- فلم يقدموا على تكفير حتى من كفرهم: فقد كفر الخوارج عثمان وعلياً ومن والاهما رضي الله عنهم أجمعين، وشرعوا في استحلال دمائهم، ومع ذلك فإن الصحابة لم يكفروهم، ذلك (لان الكفر حكم شرعي، فليس للانسان أن يعاقب بمثله: كمن كذب عليك وزنا باهلك، ليس لك ان تكذب عليه ولا أن تزني بأهله؛ لان الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق الله، فلا يكفر الا من كفره الله ورسوله)<sup>(١)</sup>.

ونقرأ أحاديث النبي ﷺ، فنجد تحذيره الشديد من اتهام المسلم لآخيه المسلم بالكفر، مبينا أن المتهم إن لم يكن كذلك ترجع على صاحب الاتهام فيبوء بها، فقال النبي ﷺ:

«إذا قال الرجل لآخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما»<sup>(٢)</sup>.

وقال «...ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك الا حار عليه»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الرد على البكري لابن تيمية ص ٢٥٧. وأنظر: ترشيد الاختلاف لواجب الائتلاف ص ١٣٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب الادب (باب: من اكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال)، حديث ٦١٠٣ ينظر: فتح الباري ١٠ / ٦٣٢، ومسلم في كتاب الإيمان (باب بيان حال ايمان من قال لآخيه المسلم يا كافر) حديث ١١١، صحيح مسلم ٧٩ / ١.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب بيان حال ايمان من رغب عن ابيه وهو يعلم حديث ١١٢، صحيح مسلم ٨٠ / ١).

ونتامل في موقف الإسلام من حقوق المسلم، فنجد أنه صان دمه وماله وعرضه، فقال النبي ﷺ:

«..إن دماءكم وأموالكم واعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...»<sup>(١)</sup>.  
وقال:

«.. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى الإسلام يحمي هذه الحرمات بتشريع، جعل فيه عقوبات على من تسول له نفسه فيخرق واحدا من هذه الحقوق: فالقاتل يقتل، والقاذف يحد، والسارق تقطع يده.... وهكذا اذا توافرت الشروط في ذلك كله. وهذه الحرمات -كلها- تهدر حين يرمي المسلم أخاه بالكفر. وبهذا يكون (الرمي بالكفر) أشد من القتل نفسه، فيكون الجزاء من جنس العمل، فيبوء المكفر باثم الكفر، لذلك قال النبي ﷺ  
«لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، الا ارتدت عليه، ان لم يكن صاحبه كذلك»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (باب: ومن سورة التوبة) حديث ٣٨٧. البخاري مع الفتح ٤٦٦/٨، ومسلم في كتاب الحج (باب: حجة النبي ﷺ) حديث ١٢١٨، صحيح مسلم ٨٨٩/٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والاداب (باب: تحريم ظلم المسلم) حديث ٢٥٦٤. صحيح مسلم ١٩٨٦/٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب الادب (باب: ما ينهى عن السباب واللعن) حديث ٦٠٤٥ البخاري مع الفتح ٥٧٠/١٠.

## أحكام الردة في الشريعة الإسلامية

الردة عن الإسلام جريمة كبرى. فهي تعني (رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام الى الكفر باختياره دون إكراه من احد<sup>(١)</sup>).

فشروط الردة أربعة

أن يكون مسلماً ثم ارتد.

أن يكون بالغاً حين رده.

أن يكون عاقلاً.

أن يكون مختاراً غير مكره.

والردة تجب على المسلم، ويستوجب صاحبها الخلود في نار الجحيم،

والقتل في الدنيا. قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ  
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

<sup>(٢)</sup>سورة البقرة/ ٢١٧.

وقال النبي ﷺ:

---

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق ٢/٤٠٥، الطبعة الأولى ١٤٢٤/٢٠٠٣. خرج

الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) معنى الآية: اذا رجع المسلم عن إسلامه الى أي دين كان من الأديان، أو صار لا دين

له، واستمر على ذلك حتى مات، فقد بطل ما قدمه من اعمال خيرية فلا يؤجر على شيء

منها، ومصيره في الآخرة الخلود في نار جهنم بسبب رده.

«من بدل دينه فاقتلوه»<sup>(١)</sup>.

وتحصل الردة من المسلم بانكار وجود الله، او الإشراف به او الإيذان بعدد من رسل الله والكفر بغيرهم، او إنكار ما علم من الإسلام بالضرورة: كإباحة الزنا والخمر، او الطعن ببعض آيات القرآن، فمن اتهم السيدة عائشة (رضي الله عنها) من المسلمين بما برأها الله منه في القرآن فقد ارتد.

هذه الجريمة الكبرى التي ترتعد الفرائض من ذكرها ما يسر رمي الناس بها من لدن الشباب المتسرع الجاهل بأحكام الفقه الإسلامي! إنهم يتسرعون بالحكم على الناس هكذا؛ لأنهم يجهلون ما قرره الفقهاء من أئمة المسلمين العظماء قديماً وحديثاً، ولم يطلعوا على ما ورد في كتب التفسير وشروح الأحاديث في أمرها، ولم يطلعوا على شرائط الردة ولا ما يوجبها من الأقوال والأفعال، وهم يجهلون كيف تثبت الردة، وكيف تكون استتابة المرتد، وكيف تكون توبته، ومتى يقتل، وكيف يقتل إذا استوفيت شرائط الردة فيه، وما مصير اولاده؟ وما حكم ارثه...؟.

قضايا كثيرة تتعلق بالمرتد لا يدري عنها أي شيء كان من يرمي الناس بها. ولو كان لهؤلاء اثاره من علم بهذه الأحكام وكانوا يخشون الله ويتقون حسابها، لما تسرعوا بالحكم بها على الناس؛ ذلك أن الردة عن الإسلام تترتب عليها قضايا مهمة تتعلق بالأحوال الشخصية: من زواج وطلاق وميراث، وكذلك ما يتعلق بذبيحته وصيده... فهو إذا قتل في رده: لا

---

(١) رواه الامام احمد في مسنده برقم ٢١٩١٤، والبخاري ومسلم.

يغسل ولا يصل عليه ولا يدفن بمقابر المسلمين.

وأحب هنا أن اذكر عدداً من الأحكام المتعلقة بمسألة الردة؛ ليكون

على بينة من امره من يرمي الناس بها:

١- لا تتحقق الردة الا إذا انشرح صدر صاحبها بالكفر واطمأن قلبه

بها، قال تعالى:

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ  
بِالْإِيمَانِ وَلَئِنْ مَنَّ شَرَّ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) سورة النحل

٢- لا يتحقق الحكم بردة أي مسلم كان الا اذا صدر منه ما يدل على

ردته دلالة قطعية لا تحتمل التأويل، حتى نسب الى الإمام مالك انه قال:

(من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً، ويحتمل

الإيمان من وجه حمل أمره على الإيمان)<sup>(٢)</sup>.

٣- الشريعة الإسلامية تحكم بالظاهر، فهي لا تشق عن قلوب الناس،

ولا تحاسب في الدنيا الا على ما يعلنه الأفراد قولاً وعملاً أو ما تقوم عليهم

---

(١) ورد في سبب نزول الآية: ان المشركين أخذوا عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سب

النبي ﷺ، وذكر آهتهم بخير، ثم تركوه، فلما اتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شر

يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آهتهم بخير قال: (كيف تجد قلبك؟)

قال: مطمئن بالإيمان. قال: (إن عادوا فعد) رواه الحاكم وقال: حديث صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرک ٢/ ٣٨٩ رقم الحديث ٣٣٦٢/ ٤٩٩

(٢) فقه السنه ٢/ ٤٠٧.

البينة بالشهادة. وإذا لم يعلن المرتد عن رده ولم يدع إليها غيره ولم تقم عليه البينة فلا يعاقبه الإسلام بالقتل، ويصير أمره اذا مات على الردة الى عذاب الله في الآخرة، بدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

سورة البقرة/ ٢١٧

فلم تكن العقوبة بالقتل الا للمجاهر برده وبخاصة الداعية لها، ومن تقوم عليه البينة، حماية لهوية المجتمع.

٤- ولا يقتل المسلم. بمجرد الادعاء عليه بالردة. فإذا ادعت عليه فانكرها يقبل قوله بلا يمين، وإن أعلن هو عنها فلا يقتل بعدها مباشرة، بل يناظر أمام العلماء من ذوي الاختصاص فان كانت لديه شبهة أزيلت بأدلة قطعية ويمهل ثلاثة ايام، وهناك من ذهب إلى ان التوجيه يستمر معه أكثر من ثلاثة أيام الى أن يغلب على الظن انه لا يعود إلى الإسلام، وعند ذاك يقام عليه الحد.

٥- ولما كانت قضية القول بردة المسلم من أخطر القضايا، فوجب أن تكون محصورة بالراسخين في العلم: اولئك الذين يميزون بين المحكم والمتشابه، والقطعي والظني، وبين ما يقبل التأويل وما لا يقبله ولا يقولون بردة المسلم الا في نهاية المطاف، حين لا يجدون مخرجا لقول المرتد أو فعله. يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-

(لا يجوز أن يحكم بالردة الا العلماء بمذاهب الأئمة المعروفون بتأنيهم وعدم تسرعهم في تكفير المسلمين ولا يجوز أن يسלט الجهال على تكفير علماء المسلمين، فإن تسليطهم على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات)<sup>(١)</sup>.

اما الناس الآخرون ممن لم يكن لهم العلم بأحكام الشريعة الإسلامية، فلا يجوز لهم أن يحكموا على أحد بالردة. وليتذكر هؤلاء المتسارعون في الحكم بالردة على الناس حديث النبي ﷺ:

«اجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار»<sup>(٢)</sup>.

٦- الذي يقوم بتنفيذ الحكم على المرتد: هو ولي الامر الشرعي، بعد أن يتأكد من حكم القاضي المجتهد، فإن لم يكن القاضي بتلك المنزلة من الاجتهاد استعان بمجتهدي عصره، ليكون حكمه على وفق شرع الله هذا ما قرره فقهاؤنا قديما وحديثا. فليقت الله أولئك الذين يخوضون بدماء الناس ويفتون بقضايا لو سئل عنها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أصحاب بدر.

تكفير المسلم:

عقيدتنا - نحن أهل السنة - لا نكفر أحداً من أهل القبلة أقر بالشهادتين

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة تأليف الأستاذ الدكتور: محمد رواس قلعه جي ٩٤٧/٢،

الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار النفائس، بيروت.

(٢) رواه الدارمي.

إذا اقترف ذنباً عَلِمَ تحريمه من الدين بالضرورة، اللهم إلا إذا اعتقد حله، أو كذب صريح القرآن، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر. فلا يكون إخراج المسلم من الإسلام إلاّ بدليل قاطع لا يحتمل التأويل: وهو الكفر بأصل الإيمان.

ان الإنسان إذا دخل في الإسلام بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو دخل في الإسلام حين ولد من أبوين مسلمين، فيكون قد ثبت له الإسلام بيقين، وما ثبت بيقين لا يزول إلا بيقين مثله، والقاعدة: أن اليقين لا يزول بالشك. لذلك لا نحكم على أحد بالارتداد بمجرد الشك.

وفوق ذلك، فإن الشخص الذي بَدَتْ منه دلالات تدل على كفره اعتقاداً أو قولاً أو عملاً لا يحكم عليه بالكفر إلاّ بعد التبيّن من حاله وينظر: أتوافرت فيه الشروط التي تخرجه من ملة الإسلام إلى ملة الكفر أم لا؟ فإن توافرت فيه تلك الشروط كلها حكم عليه بالكفر وان تحلّف شرط واحد من تلك الشروط - فضلاً عن شرطين أو أكثر - لا يحكم بكفره، ولا يصدر الحكم عليه بذلك إلاّ القضاة من أهل العلم؛ لأن التكفير حق الله ورسوله، وليس حقاً لأفراد من الناس يكفرون مَنْ يشاؤون اتباعاً للهوى. بل حتى الذي قامت الأدلة على ارتداده: فإن كانت عنده شبهات حول الإسلام، يقوم ذوو الاختصاص من العلماء بإزالتها بأدلة ثابتة قاطعة، فإن تاب أمام القاضي، فقد انتهى كل شيء، ورجع إلى حظيرة الإسلام، أما إذا ظل مصراً على ارتداده معانداً، مع إقامة الأدلة والبراهين أمامه؛ فعند ذلك يحكم عليه

بالردة. ولكن ليس من حق الفرد أن يحكم عليه بذلك، بل من حق القضاة المسلمين كما ذكرنا.

ومن عقيدتنا -نحن أهل السنة- أن المسلم إذا اعتقد اعتقاداً أو قال قولاً أو فعل فعلاً مخرجاً من ملة الإسلام، ولكن كانت لديه شبهة تأويل محتملة -ولو كانت ضعيفة- فلا يكفر -أيضاً-.

ونظر في أحاديث النبي ﷺ وسيرته، فلا نجد أنه حكم على واحد من المسلمين بالكفر لوقوعه بكبيرة من الكبائر: كالقتل والزنا وشرب الخمر.. لذلك نجد المحققين من العلماء قد قالوا استهداءً بمنهج النبي ﷺ: (إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير، ووجه واحد يمنعه، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير؛ تحسناً للظن بالمسلم)<sup>(١)</sup> اللهم إلا إذا صرح هو بإرادته لما يوجبه الكفر الصريح.

ان حديث النبي ﷺ معروف في أمره بقتال الخوارج الذين من أوصافهم: (يقروون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)<sup>(٢)</sup>.

وظهرت هذه الفرقة في زمن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ فقاتلهم علي، ووافق الصحابة على ذلك. ولم يبدأ بقتالهم إلا بعد أن سفكوا الدم الحرام

(١) حاشية ابن عابدين ٦ / ٣٤٥ دار المعرفة / بيروت.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد (باب: ٢٣). البخاري مع الفتح حديث ٧٤٣٢.

وأغاروا على أموال المسلمين فأخذوها.. عند ذلك قام سيدنا علي بقتالهم؛  
لدفع ظلمهم وبغيهم، ولم يعتبرهم كفاراً؛ لذلك لم يسب نساءهم، ولم يغنم  
أموالهم<sup>(١)</sup>.

وفوق ذلك، فإن علماء المسلمين ما كانوا يكفرون من يخالفهم الرأي،  
بل ما كانوا يكفرون حتى مَنْ كفرهم: فان الخوارج كفروا عثمان وعلياً  
رضي الله عنهما، كما كفروا مَنْ والاهما، واستحلوا دماء مَنْ خالفهم. ومع  
ذلك لم يكفرهم الصحابة؛ ذلك (لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان  
أن يعاقب بمثله: كمن كذب عليك وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه  
ولا أن تزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير  
حق الله، فلا يكفر إلا مَنْ كفره الله ورسوله)<sup>(٢)</sup>.

ان تكفير المسلم أمر خطير، يترتب عليه حلّ دمه وماله، والتفريق بينه  
وبين زوجه، ويقطع ما بينه وبين المسلمين: فلا يرث ولا يورث، ولا يُوالى،  
وإذا مات لا يغسل ولا يُصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ولهذا حذر النبي ﷺ من الاتهام بالكفر، ففي الحديث الصحيح:

(إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) هذه المعاني أشار إليها الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨٢/٣ - ٢٨٣.

(٢) الرد على البكري لابن تيمية ص ٢٥٧. وانظر: ترشيد الاختلاف لواجب الائتلاف  
ص ١٣٩.

(٣) رواه البخاري. انظر: البخاري مع الفتح ٦٣٢/١٠ حديث ٦١٠٣، ومسلم ٧٩/١  
حديث ١١١.

فإذا لم يكن الآخر كافراً بيقين، فسترده التهمة على مَنْ قالها، ويبوء بها،  
وفي هذا خطر جسيم.

وقال ﷺ:

«..ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدوّ الله وليس كذلك إلاّ حار  
عليه»<sup>(١)</sup>.

وقال:

«من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي  
له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»<sup>(٢)</sup>.

من لم يكفر الكافر فهو كافر

ويخطئ هؤلاء المتسرعون برمي الناس بالكفر حين يتحدثون في قاعدة:  
(من لم يكفر الكافر فهو كافر)، ويظنون أن الكفر يشمل الكافر الأصلي  
المتفق على تكفيره والمختلف في تكفيره-ايضا- وليست المسألة كما يظنون،  
لان المراد بالكافر في هذه القاعدة: من كفره الله ورسوله كفرعون، ذلك أن  
عدم تكفيره هو تكذيب الله ورسوله! ولو كان المراد بهذه القاعدة تكفير  
المختلف في تكفيره، لكفر الحنابلة الأئمة الشافعية والحنفية والمالكية، لان  
المذاهب الثلاثة الأخيرة لا تقول بتكفير تارك الصلاة، ولم يقل بتكفيره الا

---

(١) رواه مسلم ٨٠ / ١ حديث ١١٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة (باب: فضل استقبال القبلة) ص ١٧١ حديث ٣٩١،  
الطبعة الثانية ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار المعرفة بيروت.

الحنابلة. واليك -أخي القارئ- هذين المثالين من أمثلة كثيرة، تدلنا على الموقف الإسلامي الصحيح الواضح في أمر التكفير.

١- حاطب بن ابي بلتعة صحابي جليل، وقد وقع منه ما لم يكن يتوقعه أحد من المسلمين، ذلك أن النبي ﷺ أجمع على فتح مكة، فكان حريصا على أن يباغت المكيين بفتحها، وحدث أن حاطب (حاطب) قرىشا بكتاب يعلمهم فيه بما عزم عليه النبي ﷺ، حملته امرأة ذاهبة الى مكة. وبعد أن سارت مدة من الزمن أعلم الوحي النبي بذلك، فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب والزبير والمقداد، فاخذوا منها الكتاب، ونزل قول الله تعالى في هذه الحادثة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ سورة الممتحنة / ١ .

وقد اجمع العلماء على أن هذه الايات نزلت بسبب رسالة (حاطب). وعند التأمل في هذه العملية، نرى أنها جريمة كبرى. ومع هذا، فإن النبي ﷺ لم يكفر حاطباً.

أما المثال الثاني، فحادثة قتل افضل الخلق في زمانه سيدنا علي بن ابي طالب ﷺ على يد عبد الرحمن بن ملجم، وكانت -بحق- جريمة من أكبر الجرائم في تاريخ الإسلام وهذه الجريمة النكراء لم تخرج (ابن ملجم) من الإسلام، فلم يحكم عليه الصحابة بالكفر .

ان الذي دخل في الإسلام بيقين لا يجوز إخراجه منه إلا بيقين مثله؛

فان اليقين لا يزول بالشك، والمعاصي لا تُخرج المسلم من الإسلام، حتى الكبائر منها: كالزنى وشرب الخمر ما لم يستخف بحكم الله فيها.

ولقد كان موقف علمائنا من السلف والخلف واضح كل الوضوح. فهذا (الإمام ابن تيمية) رحمه الله قال:

(ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه: كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة...)<sup>(١)</sup>.

ومما قاله ابن تيمية -أيضاً-:

(ولا خلاف بين المسلمين أن الحربي إذا أسلم عند رؤية السيف وهو مطلق أو مقيد يصح إسلامه، وتقبل توبته من الكفر، وإن كانت دلالة الحال تقتضي أن باطنه خلاف ظاهره)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-:

(من الكبائر تكفير مَنْ لم يكفره الله ورسوله)<sup>(٣)</sup>.

وقال حجة الاسلام الامام ابو حامد الغزالي:

---

(١) قاعدة في جمع كلمة المسلمين لابن تيمية ص ١٥ تحقيق: حماد سلامة. مكتبة المنار / الزرقاء - الأردن.

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٣٢٦ مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف بمدينة حيدرآباد الدكن سنة ١٣٢٢ هـ.

(٣) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٤/ ٥٠٠ بتحقيق وضبط عبد الرحمن الوكيل. دار الكتب الحديثة / القاهرة.

(التكفير حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال وسفك الدم، والحكم في الخلود في النار... والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل)<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً:

(والذي ينبغي ان يميل المحصل اليه الاحتراز من التكفير ما وجد اليه سييلاً، فان استباحة الدماء والأموال من المصلين الى القبلة، المصرحين بقول (لا اله الا الله محمد رسول الله) خطأ، والخطأ في ترك الف كافر في الحياة، أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم)<sup>(٢)</sup>.

وقال ايضاً:

(اعلم انه لا تكفير في الفروع اصلاً إلا في مسألة واحدة: وهي أن ينكر أصلاً ودينياً علم من الرسول ﷺ بالتواتر)<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي المجمع عليه الذي لا تجوز مخالفته، ومنكره كافر خارج عن ملة المسلمين كما يقول علماء الأصول، فإن الإمام الغزالي يفرق بين من خالف الإجماع

---

(١) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة لأبي حامد الغزالي ص ١٩٧، تحقيق الدكتور: سليمان دنيا الطبعة الأولى ١٣٨١-١٩٦١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص ١١٢. الطبعة الأولى مطبعة حجازي/ القاهرة.

(٣) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة تأليف ابي حامد الغزالي ص ١٩٥ بتحقيق د. سليمان دنيا. الطبعة الأولى ١٣٨١-١٩٦١ دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي/ القاهرة.

لعدم ثبوته عنده وبين المكذب له: فمن خالف الإجماع ولم يثبت عنده بعد، فهو جاهل مخطئ لا يجوز تكفيره وأما المكذب له فيكفر فيقول:

(وقد صنف أبو بكر الفارسي - رحمه الله - كتاباً في مسائل الإجماع، وأنكر عليه كثير منه، وخولف في بعض تلك المسائل. فإذا من خالف الإجماع، ولم يثبت عنده بعد، فهو جاهل مخطئ وليس بمكذب، فلا يمكن تكفيره)<sup>(١)</sup>

وقال ابن حزم الظاهري:

(وذهبت طائفة إلى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وان كل من اجتهد في ذلك فدان بما رأى انه الحق، فإنه مأجور على كل حال: ان اصاب الحق فأجران، وان اخطأ فأجر واحد. وهذا قول ابن ابي ليلى، وأبي حنيفة، والشافعي، وسفيان الثوري، وداوود ابن علي رحمهم الله، لا نعلم لهم في ذلك خلافاً أصلاً)<sup>(٢)</sup>.

وقال -ايضاً-:

(والحق ان كل من ثبت له عقد الاسلام، فإنه لا يزول عنه الا بنص أو إجماع، أما بالدعوة أو الافتراء فلا)<sup>(٣)</sup>.

وجاء في حاشية الدر المختار:

---

(١) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للإمام الغزالي ٢٠٠.

(٢) الفصل في الاهواء والملل والنحل لابن حزم ٢/٢٤٧-٢٨٩.

(٣) الفصل في الاهواء والملل والنحل لابن حزم ٣/١٣٨.

إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير، ووجه واحد يمنعه، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير؛ تحسناً للظن بالمسلم<sup>(١)</sup>.

وجاء في البحر الرائق:

(ولا يُكفَّرُ بالمتَّهم، لأن الكفر نهاية في العقوبة؛ فيستدعي نهاية في الجناية.. والذي تحرر: أنه لا يُفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة)<sup>(٢)</sup>.

وقال الشوكاني:

(إعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر، لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه إلاّ ببرهان أوضح من شمس النهار؛ فانه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أنّ مَنْ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما. هكذا في الصحيح. وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: [مَنْ دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدوّ الله وليس كذلك إلاّ حار عليه] أي رجوع. وفي لفظ في الصحيح: [فقد كفر أحدهما]. ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير)<sup>(٣)</sup>.

(١) حاشية ابن عابدين ٦/ ٣٤٥. الطبعة الأولى عام ٢٠٠٠/ دار المعرفة - بيروت.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق تأليف ابن نجيم المصري ٣/ ٤٢٨.

(٣) السيل الجرار تأليف محمد علي الشوكاني ٤/ ٥٧٨. فصل: والردة باعتقاد أو فعل أو زي

أو لفظ كفري.

وقال الشيخ محمد عبده:

(لقد اشتهر بين المسلمين، وعُرفَ من قواعد دينهم، أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيـان من وجه واحد، حُمِلَ على الإيـان، ولا يجوز حمله على الكفر...)<sup>(١)</sup>.

ويضرب الأستاذ مصطفى مشهور - رحمه الله - مثالا رائعا لمن يقدم على التكفير بلا بينة فيقول:

(اليجرؤ أحدنا عندما يسمع عن مريض او يراه، وقد أقعده المرض، ولا يستطيع ان يحرك ساكنا، ان يحكم بموته، ويأمر بدفنه قبل ان يتثبت ويتأكد تماما أنه قد فارق الحياة فعلا؟ لا يختلف اثنان في ضرورة اليقين الكامل من حدوث الوفاة، ولو بقي في غيبوبة كاملة عدة أيام، ولو عومل معاملة الموتى قبل الوفاة الحقيقية لاعتبر جريمة قتل رغم سوء الحالة الصحية لهذا المريض. فإذا كان هذا التحرز الشديد مطلوبا بهذه الصورة بالنسبة لهذا الجسد الفاني فالواجب أن يكون التحرز في أمر العقيدة اشد فتزع حكم الإسلام من فرد مسلم أعظم حرمة وأكبر أثرا، وأشد خطرا من الحكم على انسان حي بالموت، فلماذا نتجرأ في يسر في الحكم على الملايين من المسلمين

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ٣/ ٣٠٢ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة القاهرة

سنة ١٩٩٣.

بالكفر؟<sup>(١)</sup>.

ونقول بكل أسف وحزن: ماذا يريد أعداء امتنا من النجاح أكثر من نجاحهم في تمزيق المسلمين ليضرب بعضهم رقاب بعض؟! لكن هذه الظاهرة لا يمكن أن يكتب لها البقاء، فستزول-ان شاء الله- في القريب العاجل، وسيندم أشد الندم في الدنيا قبل الآخرة من تلوث أيديهم بالدماء!.

ونختم هذا البحث بحديث النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى:

«سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فان في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

هكذا وصف النبي ﷺ هؤلاء الشباب بأنهم (أحداث الأسنان): أي أعمارهم صغيرة (سفهاء الأحلام): أي عقولهم ضعيفة. (يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم): أي يتحدثون من خير ما يتحدث

---

(١) من فقه الدعوة للأستاذ مصطفى مشهور ١/٤٦، مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية ١٤١٥-١٩٩٥، القاهرة.

(٢) رواه البخاري في كتاب استنابة المرتدين (باب: قتل الخوارج والملحدين) حديث رقم ٦٩٣٠. انظر البخاري مع الفتح ١٢/٣٥٣، ورواه أبو داود في كتاب السنة (باب: في قتال الخوارج) حديث ٤٧٥٤ بشرح عون المعبود، والنسائي برقم ٤١١٣ (صحيح سنن النسائي).

به الناس؛ إذ يتحدثون بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لكنّ إيمانهم لم يتمكن في قلوبهم، فهو لا يجاوز حناجرهم. (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية): أي يخرجون من الإسلام بغتة من حيث لا يشعرون بسرعة فائقة: كخروج السهم إذا رماه رام قوي الساعد. نسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

إنّ هذا المنهج الوسط هو الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم؛ لأنه يتجلى فيه التوازن والاعتدال في صورة من أجمل صورته. فهو بعيد عن طرفي الغلو والتفريط، والغلو هو طريق الشيطان الذي كثيراً ما ينجح فيه. وقد تنبه إلى هذا كثير من سلفنا، فقال أحدهم:

(ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة: وهي الإفراط، ولا يبالي بأيها ظفر: زيادة أو نقصان) (١).

وكثيراً ما نجد علماء السلف يوصي بعضهم بعضاً بالتزام الوسطية في كل أمر من الأمور. وقد قال الإمام الكرمانى يوصي العلماء بالتزام الوسطية:

(مَنْ تَتَّبَعَ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَجَدَ قَوَاعِدَهُ أَصُولاً وَفُرُوعاً كُلِّهَا فِي جَانِبِ الْوَسْطِ).

وقال وهب بن منبه:

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ٢/ ٥٣٠-٥٣١ هـ عبد المنعم صالح العلي.

(ان لكل شيء طرفين ووسطاً، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسكت بالوسط اعتدل الطرفان؛ فعليكم بالأوساط من الأشياء).

وبعد:

فإن كل من يدرس الإسلام دراسة صحيحة من غير المسلمين عن كتب، ويطلع على ما في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، يعجب أشد الإعجاب بهذا الدين، لكنهم يقفون بحيرة أمام عظمة الإسلام، وأوضاع المسلمين السيئة في هذا العصر. وعند التأمل في هذا التباين، نرى أن أسباب ذلك عدم فهم المسلمين لهذا الدين، فلم يلتزموا بما كان عليه النبي ﷺ وما كان عليه الصحابة الكرام وآل بيته الأطهار، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والأئمة المجتهدون، فأدى ذلك بقسم من المسلمين إلى الغلو بدينهم وانعدام الوسطية فيهم. ونقلب التاريخ فنجد سقوط بغداد على يد هولاء، وسقوط دول الطوائف في الأندلس الواحدة تلو الأخرى، ونجد الكوارث التي حلت بالمسلمين على مدار التاريخ، كان من أسبابه: عدم الفهم الصحيح لهذا الدين، وضعف الوازع الديني فيهم، وكأنَّ التاريخ يعيد نفسه بتشابه الأمثلة زمانا ومكانا، فقد ضاع المسلمون يوم ضاعت الوسطية فيهم.

## مقترحات وتوصيات

نختم هذا البحث بالمقترحات والتوصيات الآتية، لعلها تساهم في معالجة التطرف والغلو والعنف، لكي ينعم الناس بالأمن والسلام، بعد أن ذاقوا من ويلات التطرف الأمرين:

١- من أسباب العنف والإرهاب الذي شاع وذاع وانتشر هنا وهناك: الفقر المدقع والعوز البائس الذي كان يعايشه عدد ليس بالقليل من الناس بسبب البطالة.

٢- دعوة البلاد العربية والإسلامية إلى نشر العدل والمساواة بين المواطنين في بلادها، وإقامة دولة القانون التي يتساوى الناس فيها.

٣- عدم زج الناس في السجون والمعتقلات بمخالفات قليلة، ومحاسبة من يقوم بتعذيب السجناء والإساءة إليهم .

٤- تشجيع الناس على إبداء آرائهم بحرية، على أن تكون بأدب جم وخلق رفيع من غير تهجم أو سباب أو شتم.

٥- نشر ثقافة التسامح، واحترام الحرية الدينية، وقيام وسائل الإعلام في زرع هذه الروح في المجتمع.

٦- اقترح أن تقوم وزارات التربية والتعليم والمعارف في البلاد العربية والإسلامية بتدريس الطلاب في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية حياة صحابة النبي ﷺ - وبخاصة ما يتعلق بثقافة التسامح - مع ضرب الأمثلة على ذلك بما يتلاءم وروح العصر.

٧- توعية الناس بنشر حقيقة الإسلام الداعية الى احترام الإنسان وبخاصة بما جاء في القرآن الحكيم والسنة النبوية.

٨- معالجة التطرف الديني يكون بالحوار والإقناع وليس بالتعذيب والسجون والمعتقلات.

٩- من الواجب أن تتوقف وسائل الإعلام عن كل ما يندش الحياء ويدعو للذيلة والانحلال.

١٠- الإفادة من تاريخنا العربي والاسلامي وضرب الأمثلة الكثيرة لنشر الفكر الوسطي بين الناس، على وفق القواعد الإسلامية العامة.

١١- هناك من أصحاب التطرف والغلو من نياتهم حسنة، ولكن لجهلهم بأحكام الإسلام أولوا النصوص الشرعية على غير المراد بها.

١٢- لم يكن التطرف والغلو من خصائص هذا العصر فقد عرف في أدوار البشرية كلها وعند أتباع الديانات السابقة، وظهر -أيضا- في حياة النبي ﷺ.

١٣- استغل الإعلام الغربي ظاهرة التطرف، فراح يتهم الإسلام بأنه هو الداعي الى التطرف من أجل تشويبه في أعين الناس.

١٤- تبيان مفهوم الكفر، وأقسامه، وشروط التكفير، وأحكام الردة في الشريعة الإسلامية، لأن معرفة ذلك من قبل المغالين والمتطرفين، يجعلهم يرجعون عن أفكارهم التي خُذعوا بها مدة من الزمن.

اللهم وفقنا لاتباع سبيلك الذي ترضاه. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



## المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة .....
٩	الوسطية في اللغة.....
١١	الوسطية أو الاعتدال في القرآن والسنة.....
١٤	الأمة الوسط.....
١٦	من سمات الوسطية في القرآن والسنة.....
١٧	أدلة التيسير والتخفيف.....
١٩	أدلة رفع الحرج.....
٢١	عدم التكليف بغير الوسع .....
٢٢	مع النبي الكريم في توجيه أصحابه إلى التخفيف ونهيهم عن التشديد ..
٢٣	الصحابة ورفع الحرج.....
٢٤	التابعون ورفع الحرج.....
٢٥	هل الوسطية في كل حكم من احكام الإسلام.....
٢٧	الصحابة والوسطية.....
٢٨	الرخص في العبادات .....
٢٨	وماذا عن العقوبات.....
٣١	وسطية العقوبات في الشريعة الاسلامية .....

الوان من وسطية الإسلام .....	٣٤
١- وسطية الإسلام في الزكاة .....	٣٤
٢- وسطية الإسلام في المجال الاقتصادي .....	٣٥
٣- وسطية الإسلام وواقعيته في نظريته إلى المال والأخلاق .....	٣٦
وسطية الإسلام بين الروحية والمادية .....	٤١
وسطية الإسلام في العبادة .....	٤٥
أمثلة على وسطية الإسلام في العبادة .....	٤٧
من سمات الغلاة .....	٥٥
الخوارج الجدد .....	٥٩
مفهوم الكفر .....	٦٢
أقسامه .....	٦٣
شروط التكفير .....	٦٥
أحكام الردة في الشريعة الإسلامية .....	٧٠
تكفير المسلم .....	٧٤
من لم يكفر الكافر فهو كافر .....	٧٨
وبعد .....	٨٧
مقترحات وتوصيات .....	٨٨